

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٦)	جمادى الأولى ١٤٣٥هـ
العدد الثالث	مارس ٢٠١٤ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـة:** بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

المنشــور لا يعبــر إلا عــن رأي كاتبــه

محتويات العدد

الافتتاحية

التضامن الإسلامي
ذلك الهدف المنشود

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

إن الناظر في أحوال الأمة الإسلامية لا يخفى عليه الوضع المؤلم للأمة، أفرادا وجماعات، ودولا وشعوبا، حيث التناحر والتنافر، والتفرق والتشتت، والانقسام تلو الانقسام، على أسس جاهلية أو خيالية أو وهمية. فأمة الجسد الواحد، ذات المليار والنصف، وذات ستين دولة، وذات الوسائل والثروات تفقد كل مظاهر القوة والعزة والوقار بسبب ضعف انتمائها إلى مصدر قوتها وعزها، وبسبب تفرقها شيعا وأحزابا لا تعد ولا تحصى.

إن الدين الذي ينتمي إليه الأمة هو الدين الذي جمع الله به العرب وألف بينهم بعد أن كانوا متناحرين متخاذلين، يأكل بعضهم بعضا، ولم يكن يتصور تجمعهم والتفافهم على شيء {وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم –الأنفال: ٦٣}.

إن المجتمع الذي عاش فيه الرعيل الأول من حملة هذا الدين القويم لم يصل ما وصل إليه من الوحدة والوئام والتعاطف والتعاضد إلا بالتنازل عن حظوظه وأهوائه وإسلام نفسه لكتاب الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس إلا. وكلما تقدم الزمن وضعف هذا الاستسلام تسربت الأدواء السابقة والعلل الذاهبة إلى جسد الأمة شيئا فشيئا إلى أن تمكنت منها وأحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم، ليصدق عليها قول الله جل وعلا: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم – الرعد: ١١}.

إن أسباب التآلف والتعاطف ووسائله مدركة معروفة، كما أن وسائل الانشقاق وأسباب التناحر أيضا مدركة ومعروفة، والإسلام بعد جمع كلمة العرب وتوحيد

صفوفهم وجه إنذاره إليهم بخصوص هذا الجمع والوحدة، وبين لهم عوامل توطيده وترسيخه، وعوامل إضعافه وتشتيته في الوقت نفسه، وأبان الربط بين الأسباب والمسببات، والعلل والمعلولات.

وآل الأمر بالأمة أن نسيت أو تناست هذا التوجيه والإنذار. وما كان هذا النسيان والإعراض إلا نتيجة ابتعاده عن المنبع الأصيل والمنهل الصافي، يعني كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأن تعاليم هذين المصدرين وتوجيهات المرجعين هي الكفيلة لإبقاء الأمة على الخيرية التي وصفت بها ولاستحقاقها كل أسباب العزة والقوة والرقي والوقار.

ولكن وللأسف أدت عوامل الزمن ومرور الأيام إلى أن يتخلى أفراد الأمة عن تلك التوجيهات الربانية والتعليمات المصطفوية، حيث انزوت إلى حجرات العلماء وقلوب الأتقياء، ولم يبق لها آثار وأعمال في الحياة العامة سوى قراءتها وترديدها في مناسبات خاصة للتبرك ولإظهار بقاء الصلة بها، لا للاتعاظ أو التدبر أو الاعتبار.

هذا الدين الذي يرشد أتباعه في كافة الميادين والمجالات، من العقائد والعبادات، والأخلاق والمعاملات، ما نصيب مسلمي اليوم من إدراك توجيهاته واستيعاب هداياته، فالكثرة الكاثرة منهم تجدهم في غفلة وجهل عن المبادئ الأساسية من العقائد والعبادات التي هي في مجملها فرض عين على كل مسلم يجب عليه معرفتها وتعلمها لأداء فرائض خالقه. ناهيك عن أصول الأخلاق وتفاصيل المعاملات التي يندر وجود المطلعين عليها والمتمسكين بها. فما معنى الإسلام؟ وما معنى الدين؟ وماذا يغني الانتساب إليه والاكتفاء بالتسمي بالأسماء الإسلامية والعربية والعيش في بيوت المسلمين وأحيائهم ومدنهم وقراهم؟ إن الدين بتعاليمه وتوجيهاته وبمحاسنه ومميزاته قد توارى عن الأنظار، وانحسر في الكتب والأسفار، وفي المعدودين من عباد الله الأخيار. فإن كنت في شك فعليك بجولة في أحد المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون مع غير المسلمين، وحاول أن تعرف فيها المسلم من غيره بالعلامات الظاهرة من الملبس والمنظر وبالعلامات المعنوية من الخلق والتعامل والسلوك، وسوف تعود بالخيبة إلا في

القليل النادر، وقد ينقطع عنك العجب إذا وقعت على شخص تحسبه بسبب خلقه وسماحته ونزاهته هدفك ومبتغاك، وسرعان ما يزول فرحتك وإعجابك عندما تفاجأ بخبر كونه من غير ملتك.

ثم إن تصدر علماء السوء وأنصاف المتعلمين المجالس والمحافل وكذلك إسناد الزعامات إليهم مما زاد الطين بلة، فهم لقلة بضاعتهم في العلم والدين وعدم امتلاكهم ناصية الفقه والبصيرة يفسدون أكثر مما يصلحون، ويفرقون أكثر مما يجمعون، تحيطهم المصالح والانتماءات العقدية والحزبية والمذهبية والفكرية، ويكون ولاؤهم وبراؤهم، وحبهم وبغضهم، وتفرقهم وتشتتهم تابعا لتلك المصالح والانتماءات، فعلى أساسها يجتمعون ويتفرقون، ويقومون ويقعدون. وكل حزب بما لديهم فرحون.

إن الحزبية والطائفية تغلغلت في جماعات المسلمين وصفوفهم، وتمكنت في أذهانهم وقلوبهم بحيث لم يبق بعدها أي معنى للأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية، والتناصر والتعاضد على محض أساس الدين والإيمان بغير النظر إلى الانتماء الطائفي.

ونتائج هذه الفرقة والتشتت والتناحر يشاهدها كل قريب وبعيد وعدو وصديق، ومن أبرزها فقدان العزة وذهاب الريح، والذي أشار إليه جل وعلا بقوله {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم – الأنفال: ٤٦} وهذا الذي جعل الأعداء يجتمعون على سلك كل طريق للقهر والإذلال والاضطهاد، ليصدق على ذلك قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت". (أحمد، أبوداود – صحيح الجامع الصغير).

ومن نتائج هذه الحزبية المقيتة والتفرق المذموم سقوط مئات القتلى وآلاف الجرحى يوميا في عدد من بلدان المسلمين، حيث تسلط بعضهم على رقاب بعض، فيعتبر إراقة دم أخيه المسلم من أفضل القربات، ويرخص عنده دم أخيه المسلم ليريقه على أتفه الأسباب. فكيف يتوقع من شخص أو حزب أو أمة هذا حالها أنها تهب لنصرة

إخوانها في الدين والعقيدة في مختلف بقاع الأرض، وقد استنفدت كل طاقاتها وأموالها وجهودها لتصفية حساباتها فيما بينها. فهل يمكن لها أن تصغي آذانها إلى صراخ مسلمي أنجولا وأفريقيا الوسطى وإلى عويل مسلمي ميانمار ومضطهدي فلسطين. فهؤلاء يعانون من أنواع الظلم والاضطهاد والتعذيب والتصفية الجسدية ما يندى له جبين الإنسانية. وذلك في رابعة النهار وفي ظل صمت مليار ونصف مليار شخص مسلم.

وبعد تشخيص الداء ومعرفة أسباب تولده وتمكنه لم يبق لنا إلا القيام باجتثاث جذوره ومحاولة القضاء على أسبابه، وهذا يتطلب العمل الدائم والجهد المضني والنفس الطويل. وعلماء الأمة الربانيون فيهم الأمل بعد الله سبحانه وتعالى أنهم يسارعون إلى إدراك الأمة وإنجاء السفينة. إنهم يبصرون بنور الله، ويقدرون الأمور حق قدرها، ويدركون مواطن الضعف والقوة، فهم المؤهلون لتوعية الأمة وتبصيرها بأمور دينها ودنياها على أسس سليمة وقواعد ثابتة، مبناها كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم.

إن تحقق الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي منوط بالرجوع إلى المنهل الصافي والمنبع الأصيل للدين الحنيف. فهو صمام أمان والطاقة الموجهة في كل حين وآن:

{واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا – آل عمران: ١٠٣}

{وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله – الشورى: ١٠}

{فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول – النساء: ٥٩}

والتوجيه النبوي الصريح هو في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجد. وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة". (رواه أبوداود والترمذي بإسناد صحيح)

فالاعتصام بحبل الله المتين والتمسك بسنة نبيه وخلفائه الراشدين يوصلان الأمة إلى شاطئ الأمان، ويعصمانها من مزالق الاختلاف والتشتت والخصام. فيجب تربية أفراد الأمة على هذا المنهج السليم، وربطهم بالمصدرين المذكورين يصدرون عنهما في

جميع شؤون دينهم ودنياهم، وعقائدهم وعباداتهم، وتصرفاتهم ومعاملاتهم. ولا شك أن عمل التربية والإعداد ليس سهلا ميسور، لكن هو الذي يضمن الحل، ويعصم عن الزلل، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

إن دعاة التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية الذين خلد التاريخ ذكرياتهم ومآثرهم أكدوا على ضرورة الرجوع إلى المصدر الأساس لتحقيق التضامن والوئام، وعملوا على توعية الأمة وإقناعها بهذا المبدأ، وبذلوا جهودا جبارة للوصول إلى هذا الهدف الأسمى، ورسموا خريطة العمل لمن بعدهم.

ومن النقاط المهمة التي ينبغي التنبه لها والاعتناء بها في سبيل التوعية والتثقيف ضرورة الالتزام بأدب الخلاف والنظر في مواقف السلف الصالح من الخلاف، وما الذي كان يجعل خلافهم لا يجد سبيلا ليتمكن في القلوب، ويسبب الشحناء والبغضاء، ويوصل إلى تكوين الأحزاب والعصابات، إنهم شاهدوا الفتن وعاصروها، وواجهوا الخلافات والمشاجرات، لكنهم أبوا الانحياز إلى هذا أو ذاك، ولم يزيغوا عن المحجة البيضاء التي تركهم عليها قدوتهم وحبيبهم صلى الله عليه وسلم.

وأخيرا – لابد من التنويه بدور رابطة العالم الإسلامي وجهودها المتواصلة للم شمل المسلمين وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وتأليف قلوبهم ورأب صدعهم. فهذا المؤتمر العظيم الذي يناقش موضوع "التضامن الإسلامي" ويبحث عن وسائله وآلياته، وينظر في موانعه ومعوقاته، في اجتماع مع نخبة من العلماء والمفكرين من شتى بقاع الأرض، يؤتي ثماره بإذن الله وتوفيقه، ويحقق الأهداف المرجوة بحول الله وقوته، ويعتبر امتدادا لجهود الملك الصالح فيصل بن عبد العزيز رحمهما الله الذي يعد – حقا – رائد التضامن الإسلامي في العصر الحديث. وكذلك جهود ملك الإنسانية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز – أيده الله – الذي أطلق دعوة الحوار الذي يضمن الوحدة والتضامن والتآلف والسلام العالمي بإذن الله. اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖❖❖

عبر ومواعظ

المفاصل ودورها

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

من الأمراض التي كثرت في هذا الزمان، أمراض المفاصل التي قد تكون والله أعلم، من الترف والمدنية والنعيم، حيث تقلّ حركة الإنسان، والعرب في أمثالهم يقولون من ترك المشي تدركه المشي، فصار داء الركب من الأمراض المنتشرة، وكثرت الشكاوى في ذلك، حتى أن داء الركبتين نظم فيها شكاوى وقصائد .. وقد قال بعضهم يصف معاناته من داء الركبتين فقال:

لكل داء دواء يستضاء به   إلا داء الركبتين فليس له دواء

والمفاصل في جسم الإنسان، تؤدي الدور الذي تؤديه المفصلات في الأبواب العديدة، وخاصة الأبواب المتنوعة.

والإنسان الذي خلقه الله من الطين، وتعاقب نسله من ماء مهين، هو سر الأسرار وعجيبه من أبدع خلق الله كمالا وتقديرا، وإحكاما وإبداعا، وخاصة في مرونة جسمه وتعدد مفاصله.

وإن تتبع ما فيه من أسرار لما يزيد المتبصر إيمانا بالله، وتوثيقا بقدرة الخالق سبحانه، الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى.

إذ لا يجد المرء صغيرة ولا كبيرة، دقيقة أو جليلة في هذا الجسم البشري إلا وهي أعجب من أختها، وأمكن في الدعوة إلى العبادة والتبصر، ولا يزال الإنسان منذ خلق آدم وصار على وجه الأرض، إلى أن ينتهي الأجل المحتوم، للحياة على ظهرها، يتابع ويبحث في أسرار وعجائب هذا الجسم البشري، وكلما ازداد تفتق الذهن عن

جديد، وكلما أدرك سرا تجدد وراءه أسرار وغرائب تتبدّى، فسبحان من أحكم الخلق، وجعل كل شيء بمقدار لا يتجاوزه.

ذلك أننا كلما تعجبنا من مبتكرات الإنسان في عالم الصناعة والاختراع، فإن في جسم الإنسان وفي عالم الصناعة والاختراع، مما عرفنا ومما لم نعرف، ما هو أدق وأحكم، بل ما هو أعجب وأغرب، ذلك أن الله جلت قدرته، خلق آدم أبا البشر، بيده وكلأ ذريته بعنايته، وفضّلهم على كثير مما خلق سبحانه تفضيلا.

وهذه المكانة تستوجب إدراك مكانة العلو والتشريف، بأداء حق الله الذي خلق الإنسان من أجله، وقد أدرك الماديون، بالمقارنة البارزة، علميا وتطبيقيا، الفارق الكبير بما هو محسوس بين الإنسان في أي عضو من أعضائه، وبين سائر ما يجدونه أمامهم، على وجه الأرض من كائنات مهما كانت وحَجَبهم جحودهم وبعدهم عن دين الله، ربط ذلك بقدرة الله، وإرادته، أو تعليقه بالهاجس الإيماني لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فأطلقوا على الإنسان: أرقى الكائنات، وهذا الرقي يعني عند المؤمن بالله، المستمدّ عقيدته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تشريفا من الله وتفضيلا، فهي نعم تستوجب الشكر للمنعم المتفضل، سبحانه وتعالى، تبرز أمام الإنسان في كل حركة وسكنة، من هذا الجسم، وفي كل دقيقة وجليلة من العجائب والغرائب، والتي لا تحصى ولا تعدّ. ولنأخذ في هذا الصدد، المفاصل التي تعطي الجسم مرونة في الحركة، وتصرفا بديعا في تكييف الجسم، حيث يبرز أثر هذا عند الرياضيين واضحا، مع قابلية أجسامهم – نتيجة التمرين والانثناء إلى حد غير عادي، بحيث نجد بعضهم ينثني جسمه كما تنثني المادة المطاطية.

وكم رأينا وسمعنا عن أناس يأتون بحركات لا يصدقها إلا من شاهدها عن كثب، فالرأس مثلا ينثني من الخلف، حتى يصل الكعبين، أو قد يدخل بين الساقين، وغير هذا من حركات هي أشبه بالأعمال البهلوانية منها بالحركات الرياضية المرنة، وما ذلك إلا من سر أودعه الله في مفاصل الإنسان التي تفوق قدرات

الإنسان الصناعية، في مرونتها وخفّتها وصلابتها .. وهي بتقدير العزيز العليم، الذي أحكم الصنع، سبحانه، فما هي المفاصل؟!

التعريف في الكتب العلمية للمفاصل: بأنها عبارة عن تركيبات يتم بها ارتباط عظام الهيكل العظميّ بعضها ببعض، ويوجد في جسم الإنسان ثلاثة أنواع من المفاصل مختلفة:

الأول: المفاصل الليفية: توجد بين العظام، المسطحة في الجمجمة، إذ أن هذه العظام ترتبط بعضها ببعض، بواسطة أنسجة ليفية، وليس هناك حركة ما فيما بينها.

والثاني: المفاصل الغضروفية: وتوجد بين الفقرات، حيث يمكن أن تحدث حركة بسيطة، وبواسطتها تستطيع العظام أن تنثني أو تدور على طبقة الغضروف، الليفي التي توجد عظمتين.

والثالث: المفاصل التشحيمية أو التزييتية، لأن الله خلق فيها مادة لزجة ملازمة لها، تعطيها المرونة. كما يعطى الشحم والزيت المرونة وعدم التآكل في المواد الحديدية، كثيرة الحركة، ويسمونها علميا المفاصل السنوفونية. وهذه يتكون منها معظم مفاصل الجسم، وقد اشتق هذا الاسم العلمي، من الغشاء السينوي في "التشحيمي أو التزييتي" الذي يحيط بالمفاصل، ويؤدي إلى تشحيمه، ليكون مرنا في الحركة، وسهلا في الانثناء، وواقيا بقدرة العزيز الحكيم من تآكل عظم بعظم، وقد يستعين الشخص بلحوم الأضاحي بعد طبخها.

ولذا فقد أودع الله جلت قدرته، في هذه المفاصل قدرة كبيرة على التمتع بمدى واسع من الحركة، مثل المفصل المتكون من الكرة والحُق، الذي يراه الإنسان في كثير من الصناعات كمصباح القراءة مثلا.

وعند تشريح عديد من المفاصل "السينوفية" التي توجد أكثر في اليدين والرجلين، فإن المتعمق يجد عددا من السمات الرئيسية المشتركة فيها جميعا.

وعلى سبيل المثال: فكل المفاصل "السينوفية" لها غطاء ارتفاقيّ يتكوّن من أربطة الكبسولة، ومن غشاء سينوفي، وتلتصق بنهايات العظام، مكوّنة المفصل، وطبقات الغضروف الارتفاقي وهو الغضروف المتعلق بالمفصل، ولدقّه هذه الأشياء وأهميتها، فقد اضطر المختصون إعطاءها مسميات تعرف بها، قد تكون عند غير المختصين غير مدركة بدقائقها.

وقد أبدعت قدرة العليم الحكيم في هذه المفاصل، أمورا تفوق التصور، من حيث التنظيم أو الدقة، ومن حيث الإحكام والصلابة، ومن حيث المتانة والقدرة على العمل، يبين مثل هذا عندما ننظر في رسم توضيحيّ، تبرز فيه الأربطة الليفية في قدم إنسان أو يده، وكيفية تماسكها في الأطراف مع العظام، وأثرها في الحركة والمرونة. في توجيه المفاصل وشدّها وجذبها، فلا هي مرتخية ولا متصلّبة.

وهكذا لو سرنا في المفاصل ودورها في الحركة، فإننا سنرى العجب، وصدق الله في قوله الكريم: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" لأنها تتبدى أمام المتابع حكمة الله اللطيف الخبير الذي خلق فسوى وقدّر فهدى.

فإن عقل الإنسان يتوه، وذاكرته لا تستوعب مع أنها علامات وليست كمالات.

والشاعر يقول:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

وما علوم البشر في علم الله إلا بمثابة نقطة في البحر المحيط ... وحتى لا تتوه عقولنا ندعو بما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم إيمانا كإيمان العجائز.

❖❖❖

مصدر الإسلام

الاعتصام بالكتاب والسنة [1]

د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان / الرياض

يجب على المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة، وحصر التلقي لأحكام الدين أصوله وفروعه في هذا المصدر، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع، وهما الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال والمعتقدات، وهما الحق الذي يجب اتباعه، وما سواهما من كلام سائر الناس يعرض عليهما فإن وافقهما قُبِل وإلا رُدّ على صاحبه. وأهل السنة والجماعة يحتجون بالقرآن والسنة ولا يفرقون بينهما كما هو حال أهل البدع. فالسنة مبينة للقرآن وموضحة له ولا يمكن أن يستغنى عنها بالقرآن وحده بحال من الأحوال، وهي حجة في العقائد كما هي حجة في الأحكام [2].

والأدلة على هذا الأصل كثيرة منها: قول الله تعالى: {فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ...} [3]، وقول الله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ...} [4]، وقول الله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} [5] يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في معرض تفسيره لهذه الآية "فالتحكيم في مقام الاسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمن استكمل هذه المراتب وكمّلها فقد استكمل مراتب الدين كلها، ومن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين" [6] وقول الرسول صلى

---

[1] للاستزادة انظر: معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبد الهادي المصري، ومقدمة في أسباب اختلاف المسلمين لمحمد العبده وطارق عبد الحليم، ووجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بن أحمد بشير بادي.

[2] وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بن أحمد بشير بادي ص ٢٦٢.

[3] المائدة: ٤٨.

[4] الحشر: ٧.

[5] النساء: ٦٥.

[6] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١ / ٣٦٥.

الله عليه وسلم: "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه" [١].

وحتى يصبح اتباع الكتاب والسنة حقيقة لا مجرد دعوى لابد من ملاحظة أمور هامة، منها:

١ – أن حقيقة اتباع الكتاب والسنة لا يكون إلا بأخذ الدين كاملا وعدم ترك جانب من جوانبه، فإن الإسلام منهج حياة متكامل يغطي كل جوانب الحياة وليس مقصورا على العبادات مثلا.

كما يجب على المسلم الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة، وجميع ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى سواء عرفنا معناه أو لم نعرف قال الله تعالى: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض} [٢]، وقال تعالى ذاما بني إسرائيل: {فنسوا حظا مما ذكروا به} [٣]. وموقف المؤمن من السنة وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم البحث في طرقها وأسانيدها، وصحة مخرجها، لا في إمكان وقوعها أو سلامتها عن المعارض العقلي أو الذوقي، بل يؤمن بالخبر متى صح ويرد ما أشكل عليه فهمه إلى عالمه والمتكلم به – ولا يسع المؤمن إلا التصديق بجميع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم التفريق بين النصوص في الإيمان. ومن الأمثلة على ذلك تصديق أبي بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم في خبره عن إسرائه ومعراجه، حيث قال لقريش مجيبا لها: "فأشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق".

قال الزهري رحمه الله: "من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم".

وكذلك الإمام مالك رحمه الله حينما سئل عن الاستواء فقال: "الاستواء غير مجهول، والتكييف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة .." فجعل هذا السؤال بدعة لأنه يؤدي إلى التكذيب بالنصوص، والواجب والإيمان بها والتسليم لها، وإن لم ندرك حقيقة ما دلت عليه من العلم بالكيفية، فعدم العلم بالشيء ليس علما بالعدم.

والله تعالى قد امتدح الذين يؤمنون بالغيب، وأوجب التسليم المطلق للرسول صلى الله عليه وسلم في نصوص، منها {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم

---

[١] رواه أحمد وأبوداود والترمذي، وقال صحيح. المشكاة: ١ / ٥٨.

[٢] البقرة: ٦٥.

[٣] المائدة: ١٤.

ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} وقوله {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} وقوله {إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون} [١].

٢ – الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة، لأنهم أحق الناس بمعرفة مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد عاصروا التنزيل وتربوا على يد الرسول صلى الله عليه وسلم ولازموه وخبروا أقواله وأفعاله، وكانوا أفصح الناس لسانا، فبلغتهم نزل القرآن الكريم [٢].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم [٣].

وأهل السنة المشتغلون بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم بطانته من أصحابه وحواريه هم أعلم الناس بهذا الموروث، فتكون أحوالهم في الديانة علما وفهما وعملا واعتقادا لها ثقلها واعتبارها في فهم مراد الله ورسوله، ولهذا كان الأخذ بفتاوى الصحابة وآثار السلف أولى من آراء المتأخرين وفتاويهم، وأن أقربها إلى الصواب بحسب قرب أهلها من عصر النبوة ففتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوى التابعين، وفتاوى التابعين أولى من فتاوى تابعيهم، ... وهلم جرا، فكلما كان العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم أقرب كان الصواب فيه أغلب، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد من أفراد المسائل، فعصر التابعين وإن كان أفضل من عصر تابعيهم، فإنما ذلك بحسب الجنس لا بحسب كل شخص، وهكذا الصواب في أقوالهم وفتاويهم، فالتفاوت بين علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في

---

[١] انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ١ / ٢٢١ وما بعدها.

[٢] وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بن أحمد بشير بادي ص ٢٦٤.

[٣] إعلام الموقعين لابن القيم: ٤ / ١٣٩.

الفضل والدين [١]. وكل ما سكت عنه الصحابة والسلف وتكلم فيه الخلف وذلك فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان كان السكوت فيه أولى وأليق، ولم يأت فيه الخلف إلا بباطل من القول وزور [٢] . وما يوجد من اختلاف بين الصحابة والتابعين في تفسير بعض الحروف فأكثره اختلاف تنوع لا تضاد.

٣ – التزام النص وطرح التأويل فالأصل عند أهل السنة هو الأخذ بظاهر الألفاظ وما دلت عليه من الحقيقة، فالقرآن نزل بلغة العرب، ومن أراد تفهمه فمن جهة لغتهم يفهم [٣]. قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: "ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق لما فيه من إزالة التشبيه ودفع الشبهة، بل قد روى عنهم ما دل على إبطاله".

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد – إلى ساعتي هذه – عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله ...". [٤]

وقال ابن عبد البر رحمه الله: "روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قال: أمروها كما جاءت" [٥].

وقال أبو المعالي الجويني رحمه الله: "ذهبت أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب" [٦].

---

[١] انظر إعلام الموقعين لابن القيم: ٤ / ١١٨، نقلا عن: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي بن حسن: ٢ / ٥٠٦.

[٢] انظر اعتقاد أهل السنة والجماعة لمحمد رشاد خليل: ٢٣٨، ٢٣٩.

[٣] وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بن أحمد بشير بادي ص ٢٦٣.

[٤] مجموع الفتاوى: ٦ / ٣٩٤.

[٥] جامع بيان العلم: ٢ / ١١٨.

[٦] منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: ١ / ٥٧١.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: {ثم استوى على العرش}: "فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ..." [١].

٤ – أن يعتمد المسلم على ما صح من الأحاديث لأن هذه الأحاديث دين يجب الاحتياط في ذكرها وفهمها والعمل بها:

يعتبر المسلمون أول الأمم محافظة على شرف الكلمة وأمانة نقلها، فقد ربى الله تعالى المسلمين على الاحتياط في رواية الأخبار، وأمرهم أن يتثبتوا في كل ما ينقل إليهم، ويمحصوه ويقلبوا جوانبه، ليصلوا إلى صحيح الأخبار، ومن هنا حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الدقة والثبات في نقل أمور الشريعة، ومن أقواله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلّغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع" [٢]، "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" [٣]، "من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين" [٤]. وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكان رفيع من السمع والطاعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، فأثمر ذلك المنهج الذي تربوا عليه وجعلوا رواية الحديث دينا ومعرفته فقها ومذاكرته عبادة، وكانوا يقفون عند حدود النص لا يتجاوزونه، ولا يزيدون عليه، وهم الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين التابعين. وكان منهج التابعين وتابعيهم في رواية الحديث والأخبار مشيدا أساسه بآيات القرآن الكريم وأقوال النبي الكريم، وتطبيق منهج الصحابة بالمحافظة على سلامة النص والأمانة في النقل حتى يصل النور النبوي ببهائه إلى الأجيال عبر التاريخ. وقد خص الله أصحاب نبيه بالصدق وعصمهم عن الكذب دون غيرهم. ومن أجل ذلك كان العبء على النقلة من التابعين كبيرا، فالتابعي إذا سمع الحديث من الصحابي فالحديث صحيح، والصحابة كلهم عدول، وإذا روى التابعي الحديث عن تابعي مثله

---

[١] تفسير ابن كثير: ٣ / ٤٢٢.

[٢] صحيح: صحيح الجامع رقم ٦٧٦٤.

[٣] صحيح متواتر: صحيح الجامع ٦٥١٩.

[٤] صحيح: صحيح الجامع ٦١٩٩.

فعليه زيادة الاعتناء بأمانة النقل والتفتيش عن حال التابعي من حيث العدالة والضبط. وفي هذا المقام يقول ابن سيرين رحمه الله: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم. وقال عبد الله بن المبارك المروزي رحمه الله: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

٥ – أن يتيقن المؤمن أن نصوص الشرع لا تعارض بينها سواء بين آية وآية أو بين حديث صحيح وحديث صحيح أو بين آية وحديث صحيح. فالكل من مصدر إلهي واحد "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني" "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".

وأما ما يظهر للناظر من تعارض بين بعض النصوص من الكتاب والسنة فهو تعارض ظاهري يقع في نفس المجتهد وفهمه، ولا حقيقة له في نفس الأمر، وذلك لنقص في العلم أو الفهم أو فيهما معا. قال الشاطبي رحمه الله: "أدلة الشريعة لا تتعارض في نفس الأمر، ولذلك لا تجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف، لكن قد يقع التعارض في فهم الناظرين" [١].

وهناك أسباب للتعارض الظاهري منها:

١ – ما يكون بين النصوص من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد ... .

٢ – الجهل بسعة لسان العرب وأنه قد تخاطب العرب بالعام والمراد به الخاص ...

٣ – الوضع من قبل الزنادقة لبعض الأحاديث لمعارضة الصحيح للطعن في الإسلام.

٤ – ما يكون بين النصوص من تناسخ أحيانا [٢].

٦ – أن لا يعارض ما جاء في الكتاب والسنة والصحيحة برأي لأحد كائن من كان:

وذلك لأن ما جاء فيهما وحي "إن هو إلا وحي يوحى" وأن غير الرسول لا يطاع ولا يؤخذ برأيه إذا خالف الكتاب والسنة، وقد ورد عن الأئمة الأعلام والعلماء العظام من أهل السنة والجماعة الشيء الكثير الذي يفيد هذا، وينص على عدم الأخذ بأقوال الرجال إذا جاء القول عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أقوالهم:

---

[١] الموافقات: ٤ / ٢٩٤.

[٢] انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: ١ / ٣١١ – ٣٤٨.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر".

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: "إنما أنا بشر" أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكلما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه".

وقال أيضا "ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر – وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم – ".

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "وأما ما يخالف حديث رسول الله ثابتا عنه فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله، وليس ذلك لأحد شكلي، ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لا أنه عمد خلافها، وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل".

وقال أيضا: "إذا وجدتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خلاف قولي، فخذوا السنة ودعوا قولي فإني أقول بها".

وقال أيضا: "لقد ضل من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول من بعده".

وقال الإمام أحمد رحمه الله "لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا".

وقال أيضا: "كل ما قلت وكان قول رسول الله خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني".

كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى إذا أفتى يقول: "هذا رأي نعمان بن ثابت – يعني نفسه – وهو أحسن ما قدرت عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب".

وما ضلت الأقوام السابقة إلا بقولها برأيها "وكذلك سولت لي نفسي" وما ضلت كثير من الفرق في التاريخ الإسلامي إلا باتباع الرأي وترك الأثر سواء الرأي الشخصي أو رأي الآخرين. ومن أقوال الصحابة والسلف الصالح في ذلك". قال عمر رضي الله عنه: "اتهموا الرأي على الدين". وقال رضي الله عنه: "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا، وقال سهل بن حنيف رضي الله عنه: اتقوا الرأي في دينكم". وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "يحدث قوم يقيسون الأمر برأيهم فيهدم الإسلام ويثلم". وقال عبد الله بن عمر رضي

الله عنهما: "لا يزال الناس على الطريق ما تبعوا الأثر". وقال الأوزاعي رحمه الله: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه لك بالقول".

٧ – أن لا يعارض ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة بعقل:

بل يجب عليه أن يؤمن به ويصدقه علما بأن القرآن والسنة الصحيحة لا تعارض العقل السليم ولله الحمد، والشرع حاكم بإطلاق ومقدم على العقل وغيره بإطلاق. وإذا علم المسلم أن الكتاب والسنة وهي بالعقل والنقل والبراهين اليقينية، ثابتة ثم وجد في عقله ما ينازعه في خبر الرسول صلى الله عليه وسلم كان عقله يوجب عليه أن يسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، فإن العامي يصدق لأهل الاختصاص في جميع العلوم – كالطب والهندسة – ما يقولون دون اعتراض، وإن لم يتضح له وجهه، وإذا اتضح ازداد نورا على نور، والمرء قد ينقاد إلى طبيب كافر يتابعه في كل ما يقول ويخبر به [1].

قال شارح الطحاوية: "وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه حيث قال: "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" [2]

٨ – أن يجمع أطراف الأدلة:

لكي يتمكن من الحكم الصحيح لابد للمسلم من جمع أطراف الأدلة في هذا المقام، لأن شأن الراسخين في العلم هو تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا، فما أجمل في موضع قد يفصل في موضع آخر، وما كان عاما في موضع قد يكون مخصصا في موضع آخر، وما كان متشابها في موضع قد يكون محكما في موضع آخر، وما كان ثابت الحكم في موضع قد يكون منسوخا في موضع آخر، وما كان مطلقا في موضع قد يكون مقيدا في موضع آخر. فلا يمكن مثلا أن نأخذ حكم شرب الخمر من الآية "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" وحدها، والآية "حرمت عليكم الميتة والدم ...." مخصصة.

والإخلال بهذا الأمر كان من أهم أسباب ضلال كثير من الطوائف والفرق في التاريخ الإسلامي، ومن الأمثلة على ذلك بدعة الخوارج وتكفيرهم لعلي وطلحة والزبير ومعاوية وغيرهم رضي الله عنهم لقبولهم التحكيم، والخوارج فهموا أنه لا يجوز

---

[1] انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: ١ / ٢٣٥.

[2] شرح الطحاوية: ١٦٨.

تحكيم غير الله لقوله تعالى: "إن الحكم إلا لله" غافلين عن غير هذا النص مثل: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...."، "يحكم به ذوا عدل منكم"، "فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها".

٩ – أن يرد الفروع الجزئية إلى القواعد الكلية:

فمما لا شك فيه أن الشريعة تقوم على قواعد كلية عامة معتبرة في كل الفروع التي هي الأحكام التفصيلية للشريعة. ومن أمثلة القواعد الكلية:

١ – الأمور بمقاصدها "إنما الأعمال بالنيات".

٢ – الأصل في العبادات المنع إلا ما دل الدليل الشرعي عليه، والأصل في المعاملات الإباحة إلا ما دل الدليل على منعه.

٣ – اليقين لا يزول بالشك، ومن فروع هذه القاعدة: الأصل بقاء ما كان على ما كان. الأصل براءة الذمة.

٤ – لا ضرر ولا ضرار، ومن فروع هذه القاعدة: الضرر يدفع بقدر الإمكان. الضرر يزال. الضرر لا يزال بمثله. إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما بارتكاب أخفهما. يتحمّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام. درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

٥ – المشقة تجلب التيسير، ومن فروع هذه القاعدة: الضرورات تبيح المحظورات، الضرورات تقدر بقدرها.

وفي الختام، اعلم أن سبب النجاة في الآخرة والسعادة في الدنيا تتم بأمر هام وهو اتباع هدي الرسول عليه الصلاة والسلام الذي كان ترجمة حقيقية للكتاب والسنة، ودليل هذا الأصل قوله تعالى: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"، وقول الرسول صلى الله عليه سلم (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) [1].

***

[1] رواه البخاري.

الوسطية في الإسلام

(٣-٣)

د. إقبال البسكوهري

الوسطية في طاعة أولي الأمر:

إن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بطاعة أولي الأمر فقال: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول} وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبايع الناس على ذلك كما ثبت عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله". ([١])

وفي حديث آخر: "عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومكرهك ومنشطك وأثرة عليك" ([٢]) وكان يعظم أمرها ويأمر بذلك بالتأكيد حتى قال: "عليكم بالسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا" ([٣]) وقال في حديث عرباض بن سارية رضي الله عنه "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة". ([٤])

فالإسلام يهتم اهتماما بالغا ويأمر المسلمين بطاعة أولي الأمر وبذل النصح لهم والتعاون معهم في جميع الأحوال، في المنشط والمكره والعسر واليسر حتى في الأثرة عليهم.

وبناؤها على النصيحة والخير، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في حديث رواه تميم الداري رضي الله عنه فقال: "الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم" ([٥]) ولا يلزم قبول هذه الطاعة في جميع

---

[١] صحيح مسلم رقم (١٧٠٩).

[٢] صحيح مسلم رقم (١٨٣٦).

[٣] صحيح البخاري (٧١٤٢) ومسلم (في الإمارة: ٣٦).

[٤] سنن الترمذي رقم (٢٨١٦) وسنن أبي داود رقم (٤٦٠٧) بسند صحيح.

[٥] صحيح مسلم رقم (٥٥).

الأمور بل جعلها الإسلام مشروطة بشرط عدم المعصية، فإذا أمر الأمير والمسؤول بالمعصية فلا سمع ولا طاعة، وإذا أمر بالخداع والظلم والكذب فلا سمع ولا طاعة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف". ([1])

فالوسطية والاعتدال في طاعة أولي الأمر وهي في البر والتقوى دون المعصية.

الوسطية في الدعوة:

الدعوة إلى الله من منصب الرسالة والنبوة وهي من أهم أمور الشريعة وقد أمر الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله فقال: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} (المائدة: ٦٧) وعرف من الآية أيضا أن الدعوة لا تسمى دعوة إلا إذا كانت إلى ما أنزل الله. وقد بين الله تعالى ما هو أعدل منهج وأقوم سبيل لعرض الدعوة، ورسم للداعية الخطوط الجادة فقال: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} (النحل: ١٢٥) قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: "الحكمة فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي" ([2]) فالوسطية في الدعوة هي العرض بما أنزل الله على أحسن وجه وأنسب وقت.

وأن يكون الداعية لين القلب حليما صبورا، لا فظا ولا غليظا لأنه لو كان هو اتصف بها لنفر الناس عنه وانفضوا من حوله، قال الله تعالى: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (آل عمران: ١٥٩)

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال لهما: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ([3]). فاليسر والسهولة في الدعوة وعدم تنفير الناس هي الوسط فيها وهي المطلوب عن الداعية.

وينبغي أن يكون الداعي على علم ويقين بأن الهداية بيد الله، لا يستطيع إنسان أن يهدي إنسانا، ولو كان أحرص الناس عليه، قال الله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} (القصص: ٥٦)

---

[1] صحيح البخاري رقم (٧٢٥٧) ومسلم (في الامارة رقم ٣٩).

[2] مدارج السالكين: ٢ / ٤٧٩.

[3] صحيح البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (الجهاد ٧).

وقال: {فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر} (الغاشية: ٢١ – ٢٢) فلا ييأس الداعية عن العمل فيترك الدعوة، ولا يجبر على أحد ولا يشدد عليه وإن استطاع، قال الله تعالى: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} (البقرة: ٢٥٥) فكما أن اليأس وترك الدعوة أضر بالدعوة فكذلك الاجبار والإكراه أيضا أضر بالدعوة وأنفع طريق فيها هي الوسط وهو المطلوب.

الوسطية في الافتاء:

كما أن الوسطية مطلوبة في جميع شؤون الدين كذلك هي مطلوبة في الإفتاء والاجتهاد أيضا وهما من أهم المناصب وأعظم المسئولية، فعلى العالم والمفتي مراعاة ذلك فلا يفتي المفتي بدون دليل، ولا يجتهد المجتهد بدون معرفة العلة.

وعليهما الاعتدال والتوسط فيهما والوسط فيهما ما دل عليه دليل من الكتاب والسنة أو إجماع الأمة واجتهاد العلماء الراسخين، ولا يتعصب المفتي أو المجتهد لرأي أو فكر أو مذهب، ولا يفتي ولا يجتهد بدون علم أو بدون دليل، فإنه جور وجفاء وتضليل وإضلال. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" ([1]).

نعم ! قد يمكن الاختلاف في فهم النص الوارد في الشريعة، فالشريعة تسمح في مثل هذا الوقت البناء على ما تبين للمجتهد، كما حدث ذلك في عهد الصحابة عقب غزوة الأحزاب وعند خروجه إلى بني قريظة، إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة". ([2])

ولما زحفوا إليها حضر وقت العصر في الطريق، فصلى بعضهم لأنهم فهموا من النص: الإسراع في الخروج والوصول إلى بني قريظة في حين لم يصل بعضهم وتعلقوا بظاهر النص بأنهم مأمورون بإقامة الصلاة في بني قريظة، ولما بلغ الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يعنف على أحد.

---

[1] صحيح البخاري (١٠٠)، ومسلم (العلم: ١٣).

[2] صحيح البخاري رقم (٩٤٦).

وإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختار أيسر الأمرين إذا خير بين شيئين ما لم يكن إثما ([1]). وقال: "بعث بالحنيفية السمحة" ([2]) لذا يجب على المفتي والمجتهد مراعاة ذلك التيسير والسهولة، وهما من الاعتدال.

الوسطية في القضاء والحكم على الآخرين:

العدالة في الحكم من أهم مظاهر الوسطية وميزاتها، لذا أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بإقامة العدل والقسط، فقال: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا} (النساء: ١٣٥) وقال: {ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} (المائدة: ٨) وقال أيضا: {إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}.

وكلما يكون الحكم مبنيا على الأدلة والبراهين والشهود، ويكون عاريا عن التعصب والتعسف يكون عدلا، وكلما يكون متلطخا بالظن والتخمين وسوء الارادة والظن والهوى وعاريا عن الأدلة والبراهين يكون ظلما وجورا.

وكذلك الأمر في الحكم على الآخرين، فالتكفير والتبديع والتفسيق بناء على سوء الظن ابتعاد عن منهج الوسطية، وهو كان دأب الخوارج في القديم، ومع الأسف مشى على منوالهم بعض الفرق الإسلامية وبعض الشخصيات في التسرع بالحكم على الآخرين حسب ما تشتهي قلوبهم، وخاصة بالحكم على تكفير حكام المسلمين ومن والاهم.

ولعل سبب ذلك عدم فهم النصوص فهما سليما مع التحمس لإقامة الدين، ولم يراعوا فهم الصحابة، ولم يرجعوا إلى أئمة الهدى، فحادوا عن سواء السبيل، وقد قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في الأرض فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا} (النساء: ٩٤) فالحكم بدون البينة والقول لمن يدعي الإسلام بأنه كافر جور في الحكم، والله سبحانه وتعالى أشار في الآية إلى من يتسرع في الحكم بأنهم يبتغون عرض الحياة الدنيا، وهذا تنبيه شديد.

---

[1] صحيح البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (الفضائل: ٧٧).

[2] حديث ضعيف رواه الخطيب في تاريخه عن جابر وهو صحيح بلفظ "أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة" رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والطبراني عن ابن عباس.

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد على الاستعجال بالحكم على رجل أظهر إسلامه مع أنه شارك في القتال ضد المسلمين فلم يعتمد أسامة على إسلامه لسوء ظنه به وقتله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أقتلت يا أسامة بعد أن قال لا إله إلا الله، قاله ثلاثا، وقد ندم الصحابي على فعله حتى قال: ليتني لم أسلم من قبل. ([١])

فالاستعجال في الحكم بدون البينة وتكفير من أظهر إسلامه، والقضاء بجواز قتله مناف للوسطية والعدالة المطلوبة في الإسلام، وقد افتتن بها بعض المسلمين اليوم، حتى صارت هذه الفتنة أكبر فتنة يعاني بها العالم الإسلامي، والعياذ بالله.

الوسطية في إقامة الحدود والتعزيرات:

الحد عقوبة مقررة من الله تعالى، والتعزير عقوبة مفوضة إلى الحكام، وإن الله سبحانه وتعالى حدد عقوبة بعض الجرائم مثل الزنا والسرقة والقذف والقتل حسب الجريمة لتحقيق العدل بين مصالح الفرد والجماعة والمحافظة على أمن المجتمع ولو عطلت هذه العقوبات والتعزيرات عطلت مصالح الفرد والجماعة وملئت الأرض ظلما وجورا.

وهي عقوبات عادلة لا توجد مثلها في القوانين الوضعية، لأن الإسلام لا يتهم أحدا لسوء الظن فيه فقط، ولا يقبل مجرد الدعاوي، وخطط للعقوبات تخطيطا دقيقا ووضح معالمها وبين طريقها. وجعل الوسط فيها بين إلزام المدعي وإنكار المدعى عليه وجوب البينة أو الإقرار. وحرم التعدي والظلم في إقامة الحدود والتعزيرات حتى في القتل، لأن التعدي خروج عن الاعتدال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح". ([٢])

وقال: "لا يجلد فوق عشرة أسواط إلا في حد". ([٣])

وجعل الحدود كفارة لصاحبه عن تلك الذنوب.

---

[١] صحيح البخاري (٤٢٦٩) ومسلم برقم (٩٦).

[٢] أخرجه مسلم في الصيد رقم (٥٧).

[٣] صحيح البخاري رقم (٦٨٥٠) ومسلم (في الحدود رقم ٤٠)

والأمثلة موجودة في هذا الباب في المملكة العربية السعودية – حرسها الله من كل مكروه ومكروب – وجزى الله الملك المفدى عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (المتوفى ١٣٧٣ هـ) خيرا، وطيب ثراه، الذي وضع حجر أساس المملكة على قواعد الإسلام المعتدلة، ولا زالت بحمد الله ومنه قائمة على هذا الأساس متمسكا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح.

وكل من يقارن المملكة العربية السعودية بالدول الأخرى يجد بينهما بونا شاسعا بالنسبة للأمن والسلامة، والازدهار والرخاء، وذلك ببركة إقامة الحدود فيها بإحسان وإعطاء كل ذي حق حقه، وترى أن نسبة الجرائم فيها ضئيلة خاصة في المواطن السعودي، في حين ترى العالم مملوءا من الظلم والفساد والقتل والنهب والسرقة والزنا والغش والرشوة، وما ذلك إلا لأجل وسطية الإسلام والاعتدال الموجود فيه.

هذه بعض الأدلة على بعض الأمور المهمة تدل على وسطية الإسلام في جميع شؤونه وأحكامه.

أسباب الثبات على الوسطية والانحراف عنها:

ذكر معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ في مقالته "الوسطية والاعتدال" الأسباب التي تثبت الإنسان على الوسطية أو تسبب الانحراف عنها فقال ما ملخصه:

أسباب الثبات:

١ – معرفة المنهج الصحيح من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم الراسخين فيه، لأن المنهج الصحيح يحتاج إلى معرفة نصوصه وأدلته وكلام أهل العلم فيه.

٢ – معرفة العلم الصحيح النافع من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم السلف للنصوص واجتهاداتهم فيما فهموا من النصوص، فإن ذلك مدعاة للثبات على الاعتدال والوسطية.

٣ – قوة العلم والتبحر فيه فإن العلم يزداد بالاعتدال ويضمحل بالغلو والجفاء.

٤ – قوة العقل والإدراك فالله سبحانه وتعالى خاطب في كتابه العزيز أولي الألباب والذين يعقلون ويفهمون، وخاطب من يتذكر من أهل اللب الصحيح والعقل الصريح القوي، وفيه إشارة إلى أهمية العقل والإدراك في فهم النص.

٥ – النظر في تجارب الناس والتاريخ وما حصل فيه من محن وفتن، وما حصل من إصلاح، فإن هذا ينتج عنه الاهتمام بلزوم الوسطية والاعتدال، لأن التاريخ فيه تجارب دامية وقاتلة، وتجارب صالحة ومصلحة.

٦ – الصبر وهو سمة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم} (الأحقاف ٣٥) فالصبر وعدم الاستعجال من سمات الثبات على الوسطية والاعتدال.

أما أسباب الانحراف عن الوسطية فهي ما يلي:

١ – الجهل بحقيقة الوسطية.

٢ – اتباع الهوى.

٣ – غلبة العاطفة على العقل.

٤ – استعجال النتائج فيما هو مشروع، وطرح نتائج مرفوضة فيما ليس بمشروع.

٥ – الابتداع في الدين.

٦ – اتهام العلماء والعقلاء بالمداهنة وترك الحق. [1]

متطلبات الوسطية:

الوسطية التي هي خصيصة هذه الأمة لها مقتضيات ومتطلبات، فهي تتطلب من المسلمين.

- الابتعاد عن الإفراط والتفريط في كل شيء، لأن الزيادة على المطلوب في الأمور والمعاملات إفراط. والنقص عنه تفريط وكل منهما خروج عن جادة الطريق .
- وتقتضي إيجاد شخصية معتدلة، وتلزم الأمة مقاومة الغلو والتطرف ورد الغلاة إلى منهج الاعتدال رعاية لحقوق نفسه وغيره، وتقتضي نبذ التطرف والتشدد في غير محله.
- وتتطلب البعد عن التعصب للرأي والاعتراف برأي الآخرين.

---

[1] مجلة صوت الأمة صفر ١٤٣٠ هـ.

- وتتطلب اللين والرفق والسهولة في التعامل والسماحة والتيسير في الأمور ونفي الغلظة والخشونة والفظاظة.
- وتقتضي الدعوة إلى الائتلاف والوحدة بغض النظر عن الألوان والأشكال.
- وتتطلب إقامة العدل والإنصاف في إعطاء الحقوق للفرد والجماعة والأسرة والمجتمع، وتمنع منعا باتا عن الظلم والاعتداء وقتل الأبرياء.
- وتتطلب من الأمة إعتناق أعدل منهج في جميع شؤون الحياة لإيجاد التوازن في حياة الانسانية الروحية والمادية. ([1])
- وتقتضي بذل الجهود العلمية لبيان الوسطية من قبل الدعاة والعلماء والباحثين واستفراغ الوسع في ذلك.
- وتتطلب تربية الأولاد والشباب على منهج وسطية الإسلام تربية عملية وعلمية شاملة لإنقاذ الأمة عن الإفراط والتفريط.
- وتدعوا الأمة لعقد المؤتمرات والندوات لبيان أهمية الموضوع وأثرها الإيجابي.
- وتتطلب توسيع النطاق التربوي والتوجيهي في المؤسسات الدينية في جميع مراحل الدراسة، والتركيز على تربية بنات المسلمين لنشر الوسطية في المجتمع الإسلامي والعالمي.

مظاهر التطرف [٢]:

أما مظاهر التطرف فهي:

- التعصب للرأي وعدم الاعتراف برأي الآخرين.
- إلزام الناس بما لا يلزمهم.
- التشديد في غير محله.
- الغلظة في التعامل والخشونة في الأسلوب، والشدة في الدعوة.
- سوء الظن بالناس وخاصة بالحكام المسلمين ورؤسائهم وتكفيرهم وتفسيقهم.

فالواجب على الأمة المسلمة التحذير عن الإفراط والتفريط والاعتناق بوسطية الدين الإسلامي. وبالله التوفيق.

***

---

[١] وسطية الإسلام، حبيب الله صيني ص ٧.

[٢] الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، ص: ٢٧.

آداب إسلامية

أدب الأذكار

(٨)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أذكار السفر:

ما يقول المسافر عند الخروج:

ينبغي للمسافر أن يقول عند الخروج: "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا بنصحك، واقلبنا بذمة اللهم ازو لنا الأرض، وهون علينا السفر، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب". [١]

ما يقول إذا رجع من السفر:

إذا قدم من السفر قال: "آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون" [٢].

ما يقول إذا ودّع مسافرا:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ودّع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو يدع يد النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: "أستودع الله دينك، وأمانتك وآخر عملك". [٣]

ما يقوله المسافر عند الركوب:

إذا ركب المسافر راحلته كبر ثلاثا وقال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون" (الزخرف: ١٣ – ١٤) ثم يقول: "اللهم إني أسألك في سفري هذا من البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا المسير، واطوِ عنا بُعد الأرض، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا". ويقول إذا رجع إلى أهله: "آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون"[٤].

---

[١] الترمذي، كتاب الدعوات ٤٢ باب ما يقول إذا خرج مسافرا (٣٤٣) وصححه الألباني.

[٢] الترمذي ٤٣ باب ما يقول إذا رجع من السفر (٣٤٤٠) وصححه الألباني.

[٣] سنن الترمذي، كتاب الدعوات ٤٤، باب ما يقول إذا ودّع إنسانا (٣٤٤٢) وصححه الألباني، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[٤] الترمذي، كتاب الدعوات، ٤٧ باب ما يقول إذا ركب الناقة (٣٤٤٧) وصححه الألباني.

ما يقول إذا هاجت الريح:

يقول إذا رأى الريح: "اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به" [١].

ما يقول عند رؤية الهلال:

يقول إذا رأى الهلال: "اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله" [٢].

ما يقول عند الغضب:

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" [٣].

ما يقول إذا رأى رؤيا يكرهها:

عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها، وليحدث بما رأى، وإذا رأى غير ذلك مما يكرهه فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره". [٤]

ما يقول إذا أكل الطعام:

١ – يقول إذا فرغ من الأكل: "اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه".

وإذا شرب اللبن قال: "اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه". [٥]

٢ – يقول إذا رفعت المائدة: "الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا" [٦].

٣ – ويقول إذا أكل أو شرب: "الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا" [٧].

---

[١] سنن الترمذي، كتاب الدعوات ٤٩ باب ما يقول إذا هاجت الريح (٣٤٤٩) وصححه الألباني.

[٢] الترمذي، كتاب الدعوات ٥١ باب ما يقول عند رؤية الهلال (٣٤٥١) وصححه الألباني.

[٣] الترمذي، كتاب الدعوات ٥٢ باب ما يقول عند الغضب (٣٤٥٢) وصححه الألباني.

[٤] الترمذي، كتاب الدعوات ٥٣ باب ما يقول إذا رأى رؤيا يكرهها (٣٤٥٣) وصححه الألباني.

[٥] الترمذي، كتاب الدعوات ٥٤ باب ما يقول إذا أكل طعاما (٣٤٥٥) وحسنه الألباني.

[٦] سنن أبي داود، كتاب الأطعمة ٥٣ باب ما يقول الرجل إذا طعم (٣٨٤٩) وصححه الألباني.

[٧] سنن أبي داود، كتاب الأطعمة ٥٣ باب ما يقول الرجل إذا طعم (٣٨٥١) وصححه الألباني.

ما يقول لرب الطعام إذا أكل عنده:

ينبغي للمرء أن يقول لرب الطعام بعد الأكل: "أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة" [١].

ما يقول إذا عاد مريضا:

يقول إذا عاد مريضا: "أذهب البأس رب الناس، واشف فأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما" [٢].

ما يقول الضيف عند الفراغ من الطعام:

يقول الضيف إذا فرغ من الأكل: "اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم" [٣].

ما يقول إذا اشتكى:

يقول إذا اشتكى: "بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا". [٤]

يضع الرجل يده حيث يشتكي ثم يقول الذكر المذكور، ثم يرفع يده، ثم يعيد ذلك وترا.

ما يقول للرجل إذا تزوج:

"بارك الله فيكم، وبارك لكم". [٥]

ما يقول إذا رأى السحاب والمطر:

١ – عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى سحابا مقبلا من أفق من الآفاق، ترك ما هو وإن كان في صلاته، حتى يستقبله فيقول: "اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به"، فإن أمطر قال: "اللهم صيبا نافعا" مرتين أو ثلاثا، وإن كشفه الله عز وجل ولم يمطر حمد الله على ذلك. [٦]

٢ – يقول إذا رأى المطر: "اللهم اجعله صيبا نافعا هنيئا" [٧].

---

[١] أبوداود، كتاب الأطعمة، ٥٥ باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده (٣٨٥٤) وصححه الألباني.

[٢] الترمذي، كتاب الدعوات (١١٢) باب في دعاء المريض (٣٥٦٥) وصححه الألباني.

[٣] الترمذي، كتاب الدعوات ١١٨ باب في دعاء الضيف (٣٥٧٦) وصححه الألباني.

[٤] الترمذي، كتاب الدعوات ١٢٦ باب في الرقية إذا اشتكى (٣٥٨٨) وصححه الألباني.

[٥] النسائي، كتاب النكاح ٧٣ كيف يدعى للرجل إذا تزوج (٣٣٧١) وصححه الألباني.

[٦] ابن ماجه، كتاب الدعوات ٢١ ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر (٣٨٨٩) وصححه الألباني.

[٧] ابن ماجه، كتاب الدعوات ٢١ باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر (٣٨٩٠) وصححه الألباني.

ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله:

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادما أو دابة، فليأخذ بناصيتها، وليقل: "اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه" [(١)].

الأذكار عند دخول المسجد:

١ – يقول إذا دخل المسجد: "بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك".

ويقول إذا خرج: "بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك" [(٢)].

٢ – يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد، ثم يقول: "اللهم افتح لي أبواب رحمتك، ويقول إذا خرج: "اللهم إني أسألك من فضلك. [(٣)]

٣ – "أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم". [(٤)]

ما يقول عند لقاء العدو:

"اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل". [(٥)]

دعاء الرجل على من ظلمه:

١ – "اللهم أصلح لي سمعي وبصري، واجعلهما الوارثين مني، وانصرني على من ظلمني، وأرني منه ثأري" [(٦)].

٢ – "اللهم متعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، وانصرني على عدوك، وأرني منه ثأري". [(٧)]

ليس من أدب الإسلام أن يدعو الإنسان بالموت.

[(١)] ابن ماجه، كتاب النكاح ٢٧ باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله (١٩١٨) وحسنه الألباني.

[(٢)] ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعة، ١٣ باب الدعاء عند دخول المسجد ٧٧١ وصححه الألباني.

[(٣)] ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعة ١٣ باب الدعاء عند دخول المسجد ٧٧٢ وصححه الألباني.

[(٤)] أبوداود، كتاب الصلاة ٧ باب ما يقول الرجل عند دخوله المسجد (٤٦٦) وصححه الألباني.

[(٥)] أبوداود، كتاب الجهاد ٩٩ باب ما يدعى عند اللقاء (٢٦٣٢) وصححه الألباني.

[(٦)] الأدب المفرد ٢٨٢ باب دعاء الرجل على من ظلمه ح ٦٤٩.

[(٧)] الأدب المفرد ٢٨٢ باب دعاء الرجل على من ظلمه (٦٥٠).

عن قيس قال: أتيت خبابا – وقد اكتوى سبعا – قال: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت". [١]

ما يقول إذا خاف السلطان:

يقول الرجل إذا خاف السلطان أن يسطو به: "اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، كن لي جارا من فلان بن فلان وأحزابه من خلائقك، أن يفرط علي أحد منهم، أو يطغى. عز جارك، وجل ثناؤك، لا إله إلا أنت" [٢].

ما يقول إذا سمع الرعد:

١ – يقول إذا سمع الرعد: "سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته" [٣].

٢ – يقول إذا سمع الرعد والصواعق: "اللهم لا تقتلنا بصعقك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك". [٤]

الدعاء للمريض بالشفاء عند العيادة:

١ – يقول إذا زار المريض عنده سبع مرار: "أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك" [٥].

٢ – يقول إذا عاد مريضا: "اللهم رب الناس! أذهب الباس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما". [٦]

٣ – يقول إذا زار مريضا: "لا بأس، طهور إن شاء الله". [٧]

٤ – يقول: "بسم الله" – ثلاثا – ، و "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" – سبع مرات – . [٨]

ما يقال عند الميت من الكلام:

ينبغي للمرء إذا حضر الميت أن يقول: "اللهم اغفر له، واعقبنا عقبى صالحة". [٩]

---

[١] البخاري في ٧٥ كتاب المرضى ١٩ باب تمني المريض بالموت.

[٢] الأدب المفرد ٢٩٤ باب إذا خاف السلطان (٧٠٧).

[٣] الأدب المفرد للبخاري ٣٠٠ باب إذا سمع الرعد ٧٢٣.

[٤] الأدب المفرد للبخاري ٢٩٩ باب الدعاء عند الصواعق ٧٢١.

[٥] أبوداود، كتاب الجنائز، ١٢ باب الدعاء للمريض عند العيادة ٣١٠٦ وصححه الألباني.

[٦] متفق عليه.

[٧] رواه البخاري: ١٠ / ١٠٣).

[٨] رواه مسلم.

[٩] أبوداود، كتاب الجنائز ١٩ باب ما يقال عند الميت من الكلام ٣١١٥ وصححه الألباني.

وينبغي لكل امرء مسلم أن يكون آخر كلامه لا إله إلا الله، لحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". [١]

ما يقول الرجل إذا أصابته مصيبة:

يقول الرجل إذا أصابته مصيبة: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها، وأبدل لي بها خيرا منها". [٢]

ما يقرأ على الجنازة:

من السنة أن يقرأ بفاتحة الكتاب على الجنازة لحديث طلحة بن عبد الله بن عوف قال: صليت مع ابن عباس على جنازة، فقرأ بفاتحة الكتاب، فقال: إنها من السنة. [٣]

قال النووي في رياض الصالحين: "يكبر أربع تكبيرات يتعوذ بعد الأولى، ثم يقرأ فاتحة الكتاب، ثم يكبر الثانية، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: "اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد. والأفضل أن يتمه بقوله: كما صليت على إبراهيم ... إلى قوله ... إنك حميد مجيد.

ولا يفعل ما يفعله كثير من العوام من قراءتهم: "إن الله وملائكته يصلون على النبي" .. الآية (الأحزاب: ٥٦) فإنه لا تصح صلاته إذا اقتصر عليه.

ثم يكبر الثالثة، ويدعو للميت وللمسلمين.

ثم يكبر الرابعة ويدعو، ومن أحسنه: اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله. والمختار أنه يطول الدعاء في الرابعة خلاف ما يعتاده أكثر الناس.

فأما الأدعية المأثورة بعد التكبيرة الثالثة، فمنها:

١ – "اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا، كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار". [٤]

---

[١] أبوداود، كتاب الجنائز ٢٠ باب التلقين ٣١١٦ وصححه الألباني.

[٢] أبوداود، كتاب الجنائز، باب في الاسترجاع ٣١١٩ وصححه الألباني.

[٣] أبوداود كتاب الجنائز ٥٩ باب ما يقرأ على الجنازة ٣١٩٨ وصححه الألباني.

[٤] رواه مسلم: ٩٦٣.

٢ – اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا، فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا، فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده". [١]

٣ – اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحمد، اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم" [٢]

الدعاء للميت بعد دفنه:

ينبغي للمرء إذا فرغ من دفن الميت أن يقف عليه ويستغفر له، ويدعو له ويسأل له التثبيت لحديث أبي ليلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل". [٣]

ويستحب المكث عند القبر بعد دفن الميت لحظة لحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "إذا دفنتموني، فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها حتى أستناس بكم، وأعلم ماذا أراجع به رسل ربي". [٤]

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا للميت واستغفر له واقفا بعد الفراغ من دفنه، بدون رفع الأيدي في الدعاء، وإني لا أرى حديث صحيحا يدل على رفع الأيدي في الدعاء جماعيا للميت بعد الفراغ من دفنه، فالدعاء والاستغفار بدون رفع الأيدي للميت بعد دفنه وسؤال التثبيت له أمر مشروع ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلا وقولا. وفي حديث عثمان بن عفان المتقدم تصريح بالدعاء والاستغفار للميت بعد دفنه مطلقا، وليس فيه التصريح برفع الأيدي في الدعاء للميت جماعيا بعد دفنه. لا أعلم بم يستدل على رفع الأيدي في الدعاء للميت بعد دفنه جماعيا. هذا أمر يبعث على الاستعجاب والاستغراب. وقد شاع وذاع هذا العمل المخالف للسنة النبوية في بعض مناطق الهند وغيرها. وفق الله تعالى المسلمين جميعا للعمل بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحذرهم من مخالفتها.

(يتبع)

❖❖❖

---

[١] رواه الترمذي (٣٢٠١).

[٢] رواه أبوداود: ٣٢٠٢.

[٣] أبوداود (٣٢٢١) وسنده حسن وصححه الحاكم ١ / ٣٧٠ ووافقه الذهبي.

[٤] مسلم، كتاب الإيمان ١٢١.

الغيبة
وأثرها السيئ في المجتمع الإسلامي

الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد: فلا شك أن الله تعالى منح الإنسان نعما عظيمة، ومن أعظمها بعد الإسلام: نعمة النطق باللسان، وهذا اللسان سلاح ذو حدين:

فإن استخدم في طاعة الله: كقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم وغيرها من الأعمال الخيرة، وهذا هو المطلوب من كل مسلم، والشكر على هذه النعمة.

وإن استخدم في طاعة الشيطان: وتفريق جماعة المسلمين، والكذب وقول الزور، والغيبة والنميمة، وانتهاك أعراض المسلمين، وغير ذلك مما حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكل هذا محرم على المسلم، وهو من آفات اللسان، بل هو من أخطر الآفات على الإنسان، لأن الإنسان المسلم يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك، ولكن يصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه حتى نرى الرجل يشار إليه: بالدين والزهد والعبادة، ولكن هو يتكلم بالكلمات من سخط الله، لا يلقي لها بالا، وكم نرى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولخطر آفات اللسان على الفرد والمجتمع والأمة الإسلامية شرعت في كتابة هذه الأسطر، وفي هذا الموضوع الخطير عسى الله أن ينفع به المسلمين، ومن الله التوفيق.

تعريف الغيبة:

لقد عرّفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا الله ورسوله أعلم، قال: "ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فقد بهته" (رواه مسلم) وبهذا يتبين أن الغيبة هي: أن يذكر الإنسان عن أخيه الغائب صفة أو خصلة موجودة فيه، ولو كان حاضرا لكره هذا القول، فإذا لم توجد فيه هذه الصفة أو الخصلة فإن هذا يسمى بهتانا أي كذبا وافتراءً، وهو أعظم من الغيبة، والعياذ بالله.

حكم الغيبة وأدلة الحكم:

الغيبة من القبائح الاجتماعية التي لا يليق بالمسلم أن يرتكبها، وهي محرمة بالإجماع ومن كبائر الذنوب، وقد حرمها الإسلام ونهى عنها، لما فيها من تقطيع أواصر الأخوة، وإفساد المودة وبذر العداوة ونشر المعايب. وللتنفير من الغيبة شبه القرآن المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتا، فقال تعالى: {ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه} (الحجرات: ١٢).

فالذي يذم أخاه في غيبته كمن ينهشه ويأكل لحمه وهو ميت لا يحس ألم النهش والأكل. وقال ابن كثير والقرطبي في تفسير هذه الآية: "الغيبة محرمة بالإجماع".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا – تعني قصيرة – فقال: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" (صحيح: أبوداود).

المستمع للغيبة والمغتاب سواء:

وفي حكم الغيبة الإصغاء إلى المغتاب على سبيل التعجب والرضى بما يقول، فهذا مما يزيد في نشاط المغتاب وتشجيعه، وفيه تصديق له. وإذا صدّق السامع المغتاب ورضي بقوله فقد شاركه في الغيبة. قال النووي: "اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردها، ويزجر قائلها، فإن لم يزجره بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر" (الأذكار: ٢٩٤).

ما ينبغي لمن سمع غيبة أخيه المسلم:

قال صلى الله عليه وسلم: "من ذبّ عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار" (صحيح الجامع: ٦٢٤٠).

دوافع الغيبة:

- الانتصار للنفس والسعي في أن يشفي المغتاب الغيظ الذي في صدره على غيره، فعند ذلك يغتابه أو يبهته.
- الحقد للآخرين والبغض لهم، فيذكر مساوئ من يبغض ليشفي حقده، وليس هذا من صفات المؤمنين.
- الحسد: فيحسد المغتاب من يثني عليه الناس، ويحبونه، فيحاول المغتاب الحسود قليل الدين والعقل أن يزيل هذه النعمة فلا يجد طريقا إلى ذلك إلا بغيبته.
- موافقة الجلساء، ومجاملة الأصدقاء، ومساعدتهم في الكلام، وحب التملق والنفاق.

صفات المغتاب:

- المغتاب ريحه منتنة: عن جابر قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فهبّت ريح منتنة، فقال صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين" (حسن: رواه أحمد).

- المغتاب يعذب في قبره: كما قال صلى الله عليه سلم في حديث طويل: "..... وما يعذبان إلا في الغيبة والبول" (صحيح الترغيب والترهيب).
- المغتاب جبان ضعيف الشخصية .. لأنه لا يستطيع المواجهة ولا يقوى على المصارحة، ولو كان شجاعا لذكر المرء بما فيه أمامه.
- المغتاب تجارته خاسرة: يعطيها رغما عنه إلى من يغتابه. وهي في نفس الوقت ربح للطرف الآخر حيث يحصل جزاءها حسنات تثقل كفته من حيث لا يدري.
- المغتاب ناقص الإيمان: لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

  أأحببت لأخيك أيها المغتاب ما أحببتَ لنفسك من الخير عندما اغتبته؟
- المغتاب يعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لو كنا صادقين في إسلامنا مخلصين في أفعالنا، لذهبنا نواجه من رأينا فيه عيبا، وأمرناه بالمعروف ونهيناه عن المنكر، وإلا عطلنا خيرية هذه الأمة.

أمثلة من الغيبة:

- قد تكون الغيبة في جسم الإنسان: بأن يقال: هذا شخص أعمى، أحول، أعور، طويل، أو حقير، أو أسود، أو أصلع. مما يكره الإنسان أن يوصف به.
- قد تكون الغيبة في نسب الإنسان: بأن يقال: هذا من قبيلة فلان للتصغير، أو هذا عجمي، أو كردي، أو بدوي، أو أفريقي، أو هندي على وجه التحقير، أو هذا أصله كذا ....! أو يكون في مهنته: مثل أن يقال: فراش أو حلاق أو أي شيء يكرهه.
- قد تكون في خلق الإنسان: بأن يقال هذا سيء الخلق، بخيل، متكبر، جبان، متهور، سريع الغضب، وما يجري مجرى ذلك.

- قد تتعلق الغيبة بالأمور الشرعية: بأن يقال: هو سارق أو كذاب، أو شارب خمر، أو متهاون بالصلاة أو الزكاة. أو لا يحسن الركوع والسجود، ليس بارا بوالديه، إلا أن يكون مجاهرا بفسقه كاشفا عن وجهه، لا يخاف ربه، ولا يخاف الناس، فلا يعد مغتابا.
- وقد تتعلق الغيبة بأمور دنيوية: بأن يقال: هو قليل الأدب، متهاون بالناس، كثير الكلام، كثير النوم، واسع البطن، فكل هذا يعتبر من باب الغيبة إذا كان موافقا للواقع، ليس من قبيل الكذب، فالقائل في هذا مغتاب أكل لحم أخيه عاص لربه. والغيبة لا تقتصر على الكلام باللسان: وإنما تكون أيضا حركة أو إشارة أو إيماءة، أو تمثيلا، تعريضا، همزا، لمزا، أو أي شيء يفهم منه تنقيص الطرف الآخر، فكل ذلك حرام داخل في معنى الغيبة. والعياذ بالله.

أمور لا تظن أنها غيبة وهي غيبة:

- قد يذكر المرء أخاه بما يكره، وإذا نهيته عن ذلك قال: أنا على استعداد للقول أمامه، وهذا مردود من أوجه منها: إنك ذكرته وهو لا يراك ولا يسمعك بما يكره، وهذه هي الغيبة. والاستعداد للحديث أمامه لم يرد فيه دليل على إباحة الغيبة.
- قول قائل: فعل كذا بعض الناس، أو بعض الفقهاء إذا كان المخاطب يفهمه بعينه، لحصول التفهيم.
- وربما سُئل شخص عن حال أخيه فيقول: الله يصلحنا، الله يغفر لنا، نسأل الله العافية، وما أشبه ذلك مما يفهم منه تنقصه. وكذلك قول المرء: (فلان مبتلى بكذا) أو (كلنا نفعل هذا).
- قول المرء: هذا صغير تجوز غيبته: وهذا كلام غريب يُطلب الدليل على جوازه.

- التساهل في غيبة العاصي: إذ إنه لا يصح على إطلاقه، فليس كل من يقع في المعصية تجوز غيبته، وإلا جازت غيبة كل المسلمين، فما من مؤمن إلا وله ذنب.
- قول الشخص: "حضرة الآفندي" "جناب السيد" ونحو ذلك إذا كان يقصد التنقص منه، وهو نفسه يكره أن يقال عنه ذلك.

وضابط هذا كله قوله صلى الله عليه وسلم: "ذكرك أخاك بما يكره".

علاج الغيبة

للغيبة علاجان:

العلاج الأول: التوبة من الغيبة: هو أن يعلم الإنسان أنه إذا وقع في الغيبة فهو متعرض لسخط الله ومقته، وليعلم أن حسناته يؤخذ منها يوم القيامة لمن اغتابه، فليبادر بالتوبة إلى الله والندم على ما فات، والعزم على عدم العودة لمثلها والاستغفار، وإذا بلغت الغيبة إلى صاحبها فكفارتها أن يعتذر له ويطلب منه العفو، وإن لم تكن قد بلغت صاحبها فليستغفر له، وليدع الله له وليثن عليه بقدر ما أساء له، ولا يخبر صاحبه حتى لا يوغر صدره.

وفي كلا الحالين يرجع عما قاله أمام من تكلم عندهم، ويضمر في نفسه عدم العودة لمثله.

العلاج الثاني: أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة، فإن العلة تتم بقطع سببها المستمدة هي منه، والإنسان العاقل يقطع أسباب الغيبة، ويأخذ بأسباب العلاج والدواء، ويشتغل بعيوبه عن عيوب غيره، ويصون لسانه عن النطق إلا بالخير، فبذلك يفوز بخيري الدنيا والآخرة.

ما يباح من الغيبة:

قال الإمام النووي – رحمه الله – في "الأذكار": (تباع الغيبة لغرض شرعي، لستة أسباب:

١ – التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي، أو غيرهما ممن له ولاية فيقول: ظلمني فلان فعل بي كذا ، أو تذكر خيانته ، أو أكله للرشوة.

٢ – الاستعانة على تغيير المنكر ورد للمعاصي إلى الصواب: كمن يرى شخصا يشرب خمرا فيذكر هذا لولي أمره ، بغية إصلاحه والتعاون على النهي عن المنكر.

٣ – الاستفتاء: بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي بكذا .. فله ذلك. فالتعيين جائز لحديث هند وقولها للنبي صلى الله عليه وسلم: "إن أبا سفيان رجل شحيح..". (رواه البخاري)

٤ – تحذير المسلمين من الشر: إذا وجد أن سيقع فيه كمن وجد شخصا يتردد على فاسق أو مبتدع فنصحه وحذره من مخالطته ، ومن ذلك المحافظة على السنة النبوية بذكر الكذوب والضعيف والمتروك من رجال الحديث للوقوف على صحة السند ، ومنه الاستشارة: فالمستشار مؤتمن كمن يسأل عن شخص ليسند إليه عملا أو يصاهره أو يشاركه أو يجاوره ، فيذكر له حاله ، ويصدقه القول ويخلص له النصيحة.

٥ – أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته: فيجوز ذكره بما يجاهر به ، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.

٦ – التعريف: الألقاب التي يعرف بها الأشخاص على غير وجه التنقيص، كأن يقال عن شخص لا يعرف إلا بلقب الأعرج أو الأعمى.

الأمور التي ينبغي مراعاتها عند الغيبة المباحة:

- الإخلاص لله في النية.
- عدم تعيين الشخص ما أمكن لدفع الريب.
- أن تذكر أخاك بما فيه إن كان في ذلك تحقيق مصلحة من المصالح المقترحة.
- ألا تتحقق مفسدة من وراء هذه الغيبة أكثر من الفائدة المرجوة منها ، ولا تقع فتنة تضر بالمسلمين.

أشد من الغيبة:

ومن المصائب لتي ابتلي بها المسلمون أنك ترى الإنسان يغتاب أخاه لا لذنب أو عيب، وإنما لتحريم وتحليل العادات والتقاليد، وهذا من خصائصه سبحانه وتعالى، فمثلا: يتواضع شخص في لباسه ويزهد فيه مع قدرته عليه. فيقول جاهل: انظروا إلى هذا البخيل، انظروا إلى هذا الذي يحرم نفسه زينة الحياة الدنيا، إلى الذي أمات علينا ديننا، والعكس كذلك إذا رزق الله شخصا بيتا أو دابة قالوا: انظروا إليه إنه لا يتقي الله في المسلمين، وهو يسكن في بيته ويركب دابته ولا يفكر بالمسلمين ... وهكذا، ولنعلم أولا لماذا فعل هذا، ثم نفكر ونتدبر أيحل لنا – أم يحرم – أن نغلظ فيه القول ونلقي فيه المواعظ والعبر، أأنت تعلم بسرائره أهو ينفق في سبيل الله أم لا؟ إذا رزق الله من فضله مسلما أيرد هذا الفضل أم يؤتي حقه ... فنقول: الله الله في أعراض المسلمين ولحومهم، ونسأل الله السلامة ونعوذ به من الجهل.

مجاهدة الغيبة من أفضل الجهاد:

يستغرب ويتعجب كثير من الناس عندما يسمعون هذا الكلام، ولكن العجب يزول عندما نسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه" (صحيح الجامع: ١٠٩٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في الله" (صحيح الجامع: ٦٦٧٩).

وأخيرا ... نذكرك أخي المسلم بقول النبي صلى الله عليه وسلم:

"يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته" (صحيح، أبوداود).

وصدق الحكيم الذي وصف الغيبة بأنها:

(ضيافة الفساق ومراتع النساء، وإدام كلاب الناس).

جنبنا الله وإياكم مزالّ اللسان، ووقانا وإياكم عذاب النيران، ونفع به من قرأه ووزعه وسمعه، ومقربا لنا وله من جنات النعيم، وأن يجعله حجة لنا ولا علينا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖❖❖

مساهمة اليمن في الأدب العربي

في شبه القارة الهندية

الدكتور مستفيض الرحمن
قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة آسام، الهند

دولة اليمن دولة عربية قديمة تقع في جنوب الخليج العربي، لها حضارة قديمة ونظرا للحضارة المتطورة القديمة لها مفخرة على البلدان الأخرى حتى في الأيام الراهنة. ومجتمع اليمن كان منتشرا ومغلوبا بأفكار قبلية، وهذه الحقائق ظاهرة في الشعر اليمني شاملة مجموعة الأشعار القبلية.

وفي العصر الجاهلي أنجبت بلاد اليمن الشعراء والأدباء الكبار مثلا إمرؤ القيس، أشعر شعراء العصر الجاهلي على الإطلاق ، فإنه أول من وقف على الأطلال وبكى على الديار وشبب بالنساء، وشبههن بالمها والظباء، وأجاد في الأوصاف البديعة للفرس والناقة والليل والبرق والقتال وسائر الأغراض التي تعرف للبدو.

ومنهم عمرو بن معديكرب والهمذاني، ونشوان الحميري، وابن المقري، والموشيكي، والزبيري، والبردوني وغيرهم، ولهم دور كبير في تطوير الأد ب العربي في اليمن وخارجها وخاصة في شبه القارة الهندية، وحينما نقلب أوراق الكتب التاريخية نجد هناك العلاقات بين البلدان العربية وشبه القارة الهندية، وكانت عميقة الجذور متينة الأسس.

وهذه الروابط متنوعة ، فمن ناحية نجد كلمات مثل المهند والهندي والهندواني والبيلماني في القصائد العربية من العهد الجاهلي إلى العهد الإسلامي. ومن ناحية أخرى وصف الولايات والمدن والمواني والأنهار والجبال والحيوانات

والأزهار والموضوعات والسلع التجارية للهند، و الطوائف والعقائد والفلسفة والعلوم الهندية يدل على هذه العلاقات الودية بينها.

وقال البروفيسور محمد سليمان أشرف في كتابه "دراسات تاريخية وأدبية": أما العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية فكانت متنوعة ومختلفة من تجارية وسياسية وثقافية. والعرب كانوا رحالة ومع جميع الصعوبات والمشاكل التي أحدقت الرحلات في الأزمنة القديمة والمتوسطة طافوا في المشارق والمغارب. ودونوا ما شاهدوا وجربوا في هذه الرحلات. وما تركوا من تراثهم نطلع منها على معلومات كثيرة وفوائد جمة. [١]

وهو أيضا ينقل من كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لابن فضل الله العمري (مخطوطة)، ويقول: وكانت الخيول العربية الأصيلة التي تسمى "عراب" تجلب إلى الهند من البحرين وبلاد اليمن والعراق. [٢]

والسيد أبو الحسن علي الحسني الندوي يذكر المسلمين القادمين إلى الهند ويلخص فضل الإسلام وعلومه على الهند وأهلها بأسلوب موجز مقنع قائلا: "دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمة في الشرق، بل في العالم المتمدن المعمور في ذلك العهد، يحملون دينا جديدا، سائغا معقولا، سهلا سمحا، وعلوما ازدهرت وتوسعت، وحضارة تهذبت ورقت حواشيها، يحملون معهم محصول عقول كبيرة كثيرة، ونتاج حضارات متنوعة متعددة، يجمعون بين سلامة ذوق العرب، ولطافة حس الفرس، وفروسية الترك، وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة، وطرفا غالية". [٣]

والجدير بالذكر أن أهل العلم والأدب والثقافة أيضا قاموا برحلة من هذه البلدان العربية إلى الهند والسند، ولكن عددهم كان قليلا بالنسبة إلى التجار الذين كانوا أكثروا التنقل بين الخليج العربي والبلدان الساحلية الأخرى. ومن

---

[١] البروفيسور محمد سليمان أشرف: دراسات تاريخية أدبية، ص ٥، دلهي الجديدة ٢٠٠٤ .

[٢] ابن فضل الله العمري (٧٠٠ – ٧٤٨ هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (مخطوطة) ص ٢١ .

[٣] السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي: المسلمون في الهند، ص ١٤.

هؤلاء الأدباء نجد كثيرا منهم ينتمون إلى بلاد اليمن ، فندرس هنا خاصة أعمال الأديب الشهير أحمد بن محمد اليمني الذي ساهم في تطوير الأد ب العربي في شبه القارة الهندية مساهمة جادة. وكتب كتبا عديدة باللغة العربية في موضوعات شتى مثلا المنتخبات الأدبية والرسائل والمقامات الهندية، وغيرها، ومنها "نفحة اليمن" و "العجب العجاب فيما يفيد الكتاب " و " المناقب الحيدرية" وهذه كلها أعدها حينما كان ساكنا في الهند.

المنتخبات الأدبية:

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن: هو من أعظم المنتخبات الهندية، جمعه أحمد بن محمد اليمني (١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠ م) والجامع ينتمي إلى قبيلة همدان التي سكن بعض فروعها في اليمن، جاء والده إلى الهند ليلحق بعمه الذي كان قد توطن "بنارس" لكن عمه مات قبل أن يصل إليه، فخاب أمله لهذا وللمعاملة الجافة التي لقيها من ابن عمه، فذهب إلى لكناؤ حيث بسط عليه حاكمها آصف الدولة إحساناته الملكية، وبعد أن أقام في هذه المدينة بعض الوقت رجع إلى اليمن، وفي طريقه تزوج في الحديدة بنت أحد السادة الشرفاء، وهي التي أنجبت له صاحب نفحة اليمن الذي نتكلم عنه وقد مرت أيامه الأولى في الحديدة، فقد تعلم فيها كثيرا من الفروع المختلفة، وبعد ذلك ذهب إلى كلكته، وعين معلما للعربية في كلية قلعة وليام (WilliamFortCollege) وبعد وقت انتقل وذهب إلى غازي الدين حيدر في لكناؤ الذي بسط عليه إنعاما عظيما، وبعد موت هذا الحاكم زار مدنا مختلفة في الهند، وأخيرا مات في بونه (Puna) سنة (١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠هـ) تاركا عددا من الكتب النثرية المرصعة بالشعر، وبالرغم من أن مسقط رأسه اليمن إلا أن حقل نشاطه الفكري كان أساسيا في الهند . [1]

وميزة هذا الجمع أنه حاز الاعتراف الكامل به من قبل معاصريه، وأيضا من قبل الباحثين المتأخرين، وقد أعد متنا مفيدا في دراسة الأدب العربي في المدارس

---

[1] زبيدأحمد: الآداب العربية في شبه القارة الهندية (الترجمة العربية) ص ٢٢٤.

ذات الطابع القديم والمؤسسات ذات الطابع الحديث أيضا. وهومقسم إلى خمسة فصول: الأول خصص للقصص القصيرة والنوادر الأدبية، والثاني يشتمل على مناظرات علمية إحداها بين الورد والنرجس، والثانية بين طبيب ومنجم، والفصل الثالث منتخبات شعرية تحتوي على كثير من القصائد المدحية، ومنها قصيدة لشاعر الهند غلام علي آزاد البلغرامي، والفصل الرابع يشتمل على أربع قصائد لامية، والفصل الخامس جمع للحكم والأمثال.

الرسائل:

(٢) العجب العجاب فيما يفيد الكتاب : ألفه جامع "نفحة اليمن" أحمد بن محمد اليمني، وهو مقدمة لفن كتابة الرسائل، جمع فيه رسائل في موضوعات مختلفة وقد بذل أقصى جهده في أن يكون هذا الكتاب نافعا مفيدا للجمهور، ويرجو أن يعتني به المهتمون بالأدب كبرهان على حماسته لترقية وتطور اللغة العربية. والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام، الأول يعالج مراسلات رجال الأدب، والثاني في رسائل السلاطين والوزراء والقضاة، والأخير في رسائل التجار، والخاتمة التي تمثل في حد ذاتها قسما رابعا، وهي جمع وافر لرسائل عائلية ويوميات تتناول الحياة العامة في أسلوب حر، رسائل القسم الأول هي تلك التي كانت بين المؤلف وبين أصدقائه ، وهي نثر منمق مزخرف، وليس هنا موضوع معين في عبارات الرسائل سوى إظهار المحبة والإخلاص والشكر للمرسل إليه، لذلك تبدو كأن الكاتب أراد بها، اظهار مهارته الأدبية، منها ما أرسلت إلى الشاه عبد العزيز الدهلوي، وهي مكتوبة بأسلوب جميل متأنق، لكن الرد من قبل الشاه والرسالة قصيدة نونية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تتضمن تفضيله وسمو منزلته، وفي قسم النثر من هذه الرسالة وصف الشاه عبد العزيز وصفا حيا ومحزنا للمرض الذي كان يعانيه أثناء كتابة هذا الرد كما يسجل إعجابه بقصيدة أحمد اليمني،

وقد اكتشف فيها عيبا واحدا هي أنها قيلت في مدح شخص – يقصد نفسه – ليس أهلا أبدا لما احتوته، وهذا الكتاب مهم، وهو الأول من نوعه في الهند. [١]

المقامات الهندية:

(٣) المناقب الحيدرية: ألفه أيضا أحمد بن محمد اليمني، والكتاب كما يشير عنوانه خصص لغازي الدين حيدر ملك أودهـ الذي التحق المؤلف ببلاطه لبعض الوقت، تمتع بكرمه السخي وضيافته الملكية وإنعامه، وعندما رجع المؤلف إلى كلكته كتب هذا الكتاب اعترافا بالرعاية التي لقيها عند هذا الملك، والكتاب مقسم إلى ثمانية فصول، ونجد الموضوعات المختلفة حفل الكتاب باستطرادات ممتعة أدبية وتاريخية وقد ألف من أوله إلى آخره على أساس أن الشيء بالشيء يذكر، فمثلا عندما يتحدث عن رحمة الملك يقول: إن الملك أكثر كرما من أمراء البرامكة، ثم يذكر تاريخهم مختصرا، لكنه مهتم بهذه الأسرة، وعندما يتحدث عن فصاحة الملك يذكر بعض الملاحظات على المنشئين والكتاب الممتازين، ويذكر أوصافهم، وفي هذا يشير إلى خطاب مرسل إلى صلاح الدين من وزيره، بالإضافة إلى أنه أعطى صورة عن الأسرة الأيوبية، ثم يذكر عددا من الملوك والحكام الذين كان لهم علم واسع في فن الإنشاء والأدب، وبينما يصف القصور الملكية في لكناؤ يذكر بعض العمارات الفخمة العجيبة والمدن العالمية. [٢]

***

[١] نفس المرجع: ص ٢٢٤ بتصرف.

[٢] نفس المرجع.

ركن الطلاب

الرقية: أنواعها وأحكامها

طارق أسعد بن أسعد أعظمي
السنة الأولى للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

لا شك أن الإسلام وجهنا في كل ناحية من حياتنا، وما ترك خيرا إلا وقد دلنا إليه، ولا شرا إلا وقد حذرنا منه، وهناك حقيقة لا تجحد وهي أن التداوي والعلاج ضرورة بشرية، لأن الإنسان قد يصاب بأمراض – بدنية أو روحانية – ويضطر إلى أن يعمل عملا به يزول مرضه وتعود إليه صحته، فمن أجل ذلك دل الإسلام أتباعه إلى بعض الطرق للعلاج والتداوي، فالقرآن المجيد الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بالتمسك به ليس للتلاوة والهداية فحسب، بل هو شفاء للأمراض البدنية والروحانية والقلبية أيضا، قال الله تعالى: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين} [1] وقال: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء} [2].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، ما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدا، فما من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه فهما في كتابه". [3]

---

[1] الإسراء: ٨٢.

[2] حم السجدة: ٤٤.

[3] زاد المعاد لابن القيم: ٤ / ٣٥٢.

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التداوي والعلاج، فقد روي أنه قال: "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام". [١]

ففي هذا المقال الموجز نتحدث – بعون الله وتوفيقه – عن العلاج المشروع بالكتاب والسنة، وعن العلاج الذي أمرنا بالحذر منه، وذلك ضمن موضوعنا المذكور أعلاه، ألا وهو "الرقية: أنواعها وأحكامها".

تعريف الرقية: الرقية لغة: العوذة التي يرقى بها المريض ونحوه، وجمعها رُقىً، ورقى يرقي من ضرب [٢]. وفي الاصطلاح: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآثار [٣]. وعرفها ابن تيمية رحمه الله بقوله: "هي ألفاظ خاصة يحدث عند قولها الشفاء من المرض". [٤]

وتنقسم الرقية إلى نوعين: (١) الرقية الشرعية (٢) الرقية المحرمة.

الرقية الشرعية: هي ما كانت ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأدعية المأثورة والنفث في اليدين والمسح بهما ونحو ذلك مما ورد فيه النص الصحيح.

شروطها: قال ابن حجر رحمه الله: "قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط، وهذه الشروط هي:

(١) أن تكون الرقية بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

(٢) أن تكون باللغة العربية أو بما يفهم معناه من غيرها.

(٣) أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته. [٥]

يقول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ موضحا الشرط الثاني: "الشرط الثاني الذي ذكرنا هو أن تكون باللغة العربية أو بما يفهم معناه من غيرها، وإذا كانت باللغة العربية فيجب أن تكون معلومة المعنى ليست كلمات متقاطعة لا يعرف

---

[١] أخرجه أبوداود: كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، ح: ٣٨٧٤، (ضعفه الألباني).

[٢] المعجم الوسيط، ص: ٣٦٧.

[٣] النهاية لابن الأثير: ٢ / ٢٥٤.

[٤] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية: ١ / ١٥.

[٥] فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ١٠ / ٢٠٦.

معناها، وأن لا يكون فيها أسماء مجهولة، وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن الرقى التي فيها أسماء مجهولة فقال: وما يدريك لعلها كفر". [١]

ويقول الشيخ أيضا وهو يشرح الشرط الثالث: "وهذا (الشرط الثالث) مهم لأن من الناس من يظن أن الشفاء من عند الراقي لا بسبب الرقية، يقول هذا الراقي هو الذي عنده القدرة، والراقي نافع وطبيب، وقد يحسن ولا يحسن، والسبب هو الرقية والنافع الضار هو الله جل جلاله". [٢]

صفة الرقية وكيفيتها:

هي أن يقرأ القارئ على محل الألم أو على يديه للمسح بهما أو في ماء ونحوه، وينفث إثر القراءة نفثا خاليا من البزاق، وإنما هو نفس معه بلل من الريق، فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات.

وإذا رجعنا إلى النصوص الشرعية وجدنا كيفيات مختلفة وصيغا متنوعة مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، سنذكر بعض الأحاديث عن كيفية الرقى الشرعية في السطور التالية:

الرقية بفاتحة الكتاب:

إن الفاتحة سورة عظيمة، ولها فضائل كثيرة وخواص مختلفة ذكرت في الأحاديث الصحيحة، ونحن مكلفون بقراءتها في كل ركعة من الصلاة، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستشفاء بها أيضا، ففي الحديث المتفق على صحته عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينماهم كذلك إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فسألوه فضحك وقال: "وما أدراك أنها رقية؟ خذوها واضربوا لي بسهم". [٣]

---

[١] الرقى وأحكامها لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ: ١ / ١٠.

[٢] المرجع السابق.

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، ح: ٥٤٥٤.

يقول ابن القيم رحمه الله في خصوصية الفاتحة: "فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والثناء على الله وتفويض الأمر كله والاستعانة به والتوكل عليه وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي الهداية التي تجلب النعم وتدفع النقم من أعظم الأدوية الشافية الكافية" [١].

الرقية بالمعوذات:

المعوذات هي الإخلاص، والفلق والناس، ولهذه السور شأن عظيم في المعالجة من الأمراض الروحانية والبدنية، وخاصة سورتي الفلق والناس تشتملان على التعوذ بالله من الشرور والوساوس والحسد وغيرها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى شيئا من جسده قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي" [٢]. وعنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات". [٣]

"وقد دل الحديث على عظم شأن هذه السور الثلاثة وأنها رقية وشفاء للوجع بإذن الله، وقد ورد في شأن هذه السور أحاديث كثيرة تدل على عظم شأنها، وسورتا المعوذتين لهما تأثير عظيم لاسيما إن كان المرض ناشئا عن سحر أو عين، أو نحو ذلك. [٤]

الرقية بآية الكرسي:

قد وردت أحاديث عديدة تدل على عظم شأن هذه الآية وما فيها من صفات الله تعالى وقدرته ووسعة علمه، وأكد الشارع على قراءتها للصيانة من الشياطين ودفع شرورهم وأذاهم، فقد ثبت في صحيح البخاري "أنه من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه الشيطان حتى يصبح". [٥]

يقول ابن تيمية رحمه الله: "جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيرا

---

[١] زاد المعاد: ٤ / ١٧٨.

[٢] أخرجه أبوداود، كتاب الطب، باب كيف الرقى، ح: ٣٩٠٤، صححه الألباني.

[٣] أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات ح: ٥٨٤٣.

[٤] فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: ٤ / ٢١٦.

[٥] أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة ح: ٤٧٢٣.

عظيما في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع، وعن من تعينه الشيطان مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب، وأرباب السماع والمكاء والتصدية، وإذا قرأت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان .... الخ". [١]

الرقية في بعض الأمراض والجروح البدنية

رقية العين:

لا ريب أن العين حق، وتؤثر على صحة الإنسان وجسمه تأثيرا لا يخلو من أمراض خبيثة، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شناعة العين وقبحها فقال: "العين تدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر" [٢]، وساق ابن القيم كلاما فقال: ".... وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل إصابة العين ... فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما تؤثر في طمس البصر .... [٣]، وقال الشاعر:

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى علاجها، فعن زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: "استرقوا لها، فإن بها النظر" [٤] وأخرج أحمد رحمه الله قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل مصاب بالعين: "إن العين حق، توضأ له". [٥]

رقية الوجع:

أخرج مسلم في صحيحه عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ضع يديك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر". [٦]

---

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٩ / ٥٥.

[٢] أخرجه أبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني (الصحيحة: ١٢٤٩).

[٣] زاد المعاد: ٤ / ١٥٣.

[٤] أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب رقية العين، ح: ٢١٩٧.

[٥] أخرجه ابن حبان: كتاب الرقى والتمائم ح: ٦١٠٥، صححه الألباني.

[٦] أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم، ح: ٢٢٠٢.

يقول ابن القيم رحمه الله: "ففي هذا العلاج من ذكر الله، والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم ما يذهب به، وتكراره ليكون أنجح وأبلغ كتكرار الدواء لإخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها". [١]

رقية اللدغ:

اللدغ من الجروح البدنية، إن الرجل قد يصاب بلدغ الحية أو العقرب أو النملة وغيرها، وفي هذه المصيبة أيضا ينبغي الرجوع إلى هدي الشارع، فقد هدى النبي صلى الله عليه وسلم إلى علاجها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، فقال: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك" [٢] وفي سنن أبي داود عن الشفاء بنت عبد الله دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال: "ألا تعلمين هذه رقية النملة كما عملتيها الكتابة". [٣]

رقية السحر:

السحر داء خفي يؤثر في النفوس والأبدان، فيبتلى الإنسان بأمراض خبيثة قد تصل به إلى الموت، فمن السحر ما يقع على الجسم وما يقع على الروح، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وهكذا تظهر من السحرة أعمال عجيبة من خرق العادات. هذا، وللسحر تأثير بالغ وضرر عظيم، فمرة أصيب به النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عقدا في بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجوها، فجئ بها إليه فحللها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي، ولا رآه في وجهه قط [٤]، وفي لفظ للبخاري: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن كان ليخيل أنه يأتي نساءه ولم يأتهن .. الحديث".

---

[١] زاد المعاد: ٤ / ١٧٢.

[٢] أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الذكر والدعاء، ح: ٢٧٠٩.

[٣] أخرجه أبوداود، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، ح: ٣٨٨٩، صححه الألباني.

[٤] أخرجه النسائي، كتاب تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب ح: ٤٠٨٠، صححه الألباني.

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى علاجه وقال: "من تصبح بسبع تمرات من تمر العجوة لم يصبه سم ولا سحر". [١]

وهكذا وصف الشيخ ابن باز رحمه الله علاجا من هذا الداء بـ "الفاتحة" و "آية الكرسي" و "المعوذات" مع آيات السحر التي جاءت في سورة الأعراف وسورة يونس وسورة طه، وقال الشيخ رحمه الله: "وقد يوضع في الماء سبع ورقات خضر من السدر تدق وتلقى في الماء الذي يقرأ فيه، ولا بأس بذلك وقد ينفع الله بذلك أيضا". [٢]

هذه هي بعض الصور للرقى الشرعية، وهناك صور أخرى ثبتت في الأحاديث الصحيحة أيضا، وقد هدى النبي صلى الله عليه وسلم إلى آيات وسور تقرأ للوقاية من مكايد الشيطان ومكرهم، من أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب "زاد المعاد" ج٤. هذا، ووظيفة المسلم أن يهتم بهذه الطرق الشرعية الشافية عند إصابته بالأمراض البدنية والروحانية، وأن لا يتوكل إلا على الله تعالى، وإذا استفاد من هذه الرقية الشرعية رأى على نفسه تأثيرا بالغا، والله هو الشافي وعند كل مصائب هو الكافي.

الرقية المحرمة:

هي ما تكون بغير كلام الله تعالى، أو بغير أسمائه وصفاته، أو ما تكون بلغة لا يفهم معناها، أو ما يعتقد فيه المعتقد أن الرقية تؤثر بذاتها بغير إذن الله تعالى وقدرته، فكل هذه صور وأشكال ممنوعة، بل قد تكون شركا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك". [٣]

"قد كانت الرقى معروفة عند العرب في الجاهلية، لكنها كانت كثيرا ما تشتمل على شركيات مثل الاستعاذة بالجن والشياطين وسؤال غير الله وما لا يفهم معناه من الكلام، ومن هنا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الرقى واعتبرها شركا" [٤]، نذكر هنا بعض الصور للرقية المحرمة:

الرقية بغير أسماء الله وصفاته:

إن وظيفة المؤمن ومسؤوليته أن يتوكل على الله تعالى في جميع أعماله، وإذا أصيب بمرض أوهم أو قلق أو جرح أو بأي مصيبة لا يلجأ إلا إلى الله تعالى وحده، ولا

---

[١] أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، ح: ٥٦٤٠.

[٢] فتاوى نور على الدرب لابن باز ص: ١٩٣.

[٣] أخرجه ابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم، ح: ٣٥٣٠، صححه الألباني.

[٤] موقف الإسلام من الإلهام للدكتور القرضاوي، ص: ١٥١.

ريب أن الدعاء عبادة، والرقية هي من أنواع الدعاء، لما فيه التوكل والاعتماد على الله تعالى والمناجاة له، فمسؤوليته أنه إذا استعان فليستعن بالله، كما يعلم الشارع بقوله: "إياك نعبد وإياك نستعين" وفي قوله: "وإذا استعنت فاستعن بالله" [١]، هكذا وإذا كانت الرقية فيها استعانة أو استعاذة بغير الله واستعانة بشيطان، أو بولي، أو باسم ولي تكن شركا، يقول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الرقى وأحكامها.

"ومن الرقى الشركية تشتمل على أدعية فيها وسيلة من وسائل الشرك مثل التوسل بذوات الأولياء أو بحرمتهم أو بجاههم، فهذه تمنع لأن التوسل بالذوات أو بالحرمة أو بالجاه هنا بدعة ووسيلة من وسائل الشرك". [٢]

والكلام في هذا المجال طويل وبسيط لا يمكن استيعابه، فنكتفي بهذه الكلمات.

إذا اعتقد أنها شافية بالذات:

لقد ذكرنا الشرط الثالث للرقية الشرعية أن يعتقد أن الرقية هي لا تؤثر بذاتها، بل هي تابعة لمشيئة الله عز وجل، هذا ولا مراءة فيه أن الشفاء كله بيد الله تعالى، ولا أحد من الخلق يقدر –راقيا كان أو طبيبا– أ ن يشفي المرضى بنفسه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك..." [٣] وقال عز من قائل: {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو} [٤].

"إن الواجب على الراقي أن ينبه المرضى الذين يقرأ عليهم إلى أن الشافي هو الله تعالى، وأنه لا يملك من هذا الأمر شيئا، لأن كثيرا من المرضى يتعلقون بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالله جل وعلا، فإذا غفل الراقي عن تنبيههم لمثل هذا الأمر زاد عندهم هذا التعلق بما يوقعهم في المحرم". [٥]

---

[١] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ح: ١٠٠٠، صححه الألباني.

[٢] الرقى وأحكامها، ص: ١٥.

[٣] أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، ح: ٥٨٣٦.

[٤] الأنعام: ١٧.

[٥] مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٥٣٩، رجب ١٤٣١ هـ، ص: ٢٨.

الخلوة بالنساء بدون محرم للرقية:

هذا يرى كثيرا أن بعض الراقين يخلون بالنساء بدون محرم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم فإن الشيطان ثالثهما" [١] وهكذا يضع هؤلاء المعالجون أيديهم على أبدانهن، ويطلبون منهن أن يحددن مكان المرض، ليضعوا أيديهم أثناء القراءة، مدعين أن ذلك يعين على إيذاء الجن ونحو ذلك. هذه الصور كلها حرام لا شك في حرمتها، فقد سئل الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين عن جواز أن يمس القاري شيئا من جسد المرأة أثناء الرقية أو الكشف عن يديها أو صدرها للنفث، فأجاب الشيخ: "لا مانع من استعمال الرقية على المرأة مع النفث والنفخ، ولكن لا يحل للقاري الأجنبي أن يباشر لمس بشرتها بدون حائل بل يقرأ عليها وهي متحجبة، ويقرأ عليها إحدى نسائها أو محارمها أو تقرأ هي على نفسها بما تيسر من القرآن. [٢]

الضرب واستخدام الأدوات للرقية:

الرقية التي شرعها النبي صلى الله عليه وسلم فيها يسر وسهولة، ليس فيها صعوبة ولا ضيق، فالرقية مجموعة من الأدعية ليس فيها أن يؤذي المريض ويضربه، ويستخدم الأدوات كالعصى والكي بالكهرباء وغيرها، وهذا عمل ما ورد فيه نص، لا من الكتاب والسنة ولا من السلف الصالحين، لكن رغم هذا نرى أن الرقاة الجهلة بأحكام الشرعية يفتتون الناس للعلاج، ويعذبونهم تعذيبا شديدا تبلغ القلوب الحناجر عند سماعه، قد ذكر الباحث الشرعي رشيد الحسن في مجلة الوعي الإسلامي قصة نذكرها هنا:

يقول الكاتب: "سجلت محاضر الشرطة في بعض البلدان الإسلامية العديد من حوادث الوفاة بعد "جلسات الرقية" والتي تحولت فيما بعد إلى قضايا عالجتها المحاكم، أذكر على سبيل المثال لا الحصر قضية امرأة تبلغ من العمر ٢٠ سنة، ضربها راقيان بلوح خشبي حتى تسببا لها بعجز كلوي ذات يوم في سنة ٢٠٠٨م وضحية أخرى تفجرت رئتها دما بعد أن سقيت كميات من الماء وزيت الزيتون. ووفاة زوج وزوجة

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة ، ح: ٤٩٣٩ .

[٢] حكم الرقية على المرأة الأجنبية ومس جلدها ص: ٢.

بعد شربهما ١٤٠ لترا من الماء. والحقيقة أن هؤلاء يجب الأخذ على أيديهم وألا يترك لهم مجال للعبث ببني آدم". [١]

الرقية بالسحر:

مما لا شك فيه أن السحر حرام، وقد ذكرنا حرمة السحر وشناعته وخبثه، وهو من نواقض الإسلام، وصاحبه خارج من الدين، لأن فيه استخدام الشياطين والاستعانة بهم، قال الله عز وجل: {ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر} [٢] وهكذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بقتل السحرة. وهذه النصوص كلها تدل دلالة واضحة على حرمة السحر، فإذا كان السحر حراما فكيف تجوز الرقية والاستشفاء به، يقول الشيخ صالح بن فوزان حفظه الله: "أما قضية حل السحر بسحر مثله فقد نص كثير من العلماء على أن ذلك لا يجوز، لأنما التداوي إنما يكون بالحلال والمباح، ولم يجعل الله شفاء المسلمين فيما حرم عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا تتداووا بحرام" ومن أعظم المحرمات السحر فلا يجوز التداوي به ولا حل السحر به". [٣]

الخاتمة:

لقد ذكرنا – بعون الله ومنه – أنواع الرقية وأحكامها باختصار في هذا المقال الموجز، ولا شك أن كثيرا من الناس لا يعرفون أحكام الشرع في هذا الباب، ويغفلون عنها، ويتكاسلون عن معرفتها، مع أنها مما يتعلق بالعقائد الأساسية، وهذا يؤدي إلى أن يعمل الرجل عملا من الشرك، وهو لا يشعر به. فعلى المسلم أن يكون حذرا من الأفعال التي تسبب الشرك أو توصل إليه، وهكذا وظيفة المسلم أن يهتم عند المصائب والأمراض بالاعتماد والتوكل على الله تعالى، وأن يسلك السبيل الذي هداه الله ورسوله الكريم إليه.

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❖❖❖

---

[١] مجلة الوعي الإسلامي، مقال رشيد الحسن بعنوان: "جهل الرقاة" العدد: ٥٣٩، رجب ١٤٣١ هـ، ص: ٢٦.

[٢] البقرة: ١٠٢.

[٣] المنتقى من فتاوى الفوزان: ٣٩ / ٢١.

من أخبار الجامعة

حفلة ثقافية بمناسبة يوم الجمهورية

إن ندوة الطلبة للجامعة السلفية بنارس، جريا على عادتها عقدت برنامجا علميا بمناسبة "يوم الجمهورية" للبلاد في قاعة المحاضرات يوم الأحد ٢٤ / ربيع الأول ١٤٣٥ هـ = ٢٦ / يناير ٢٠١٤ م برئاسة الأمين العام للجامعة فضيلة الشيخ عبد الله سعود السلفي حفظه الله.

بدأ الحفل بآي من الذكر الحكيم تلاها الأخ عبد الله بن محمد مرتضى الطالب في قسم التجويد، وقدم محمد يونس بن محمد گلاب الطالب من السنة الاولى للعالمية أبياتا في الثناء على الله سبحانه، وأنشد الطالب معراج أحمد بن عتيق الرحمن من السنة الأولى للعالمية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قدم مجموعة من الطلاب أنشودة وطنية للشاعر محمد إقبال. وجاءت نوبة الكلمات والمقالات، فكان أول من قدم مقالته أسامة بن فخر الدين الطالب من السنة الأولى للفضيلة حول التعريف بيوم الجمهورية، فالأخ عطاء الرحمن بن حبيب الرحمن من السنة الثانية للفضيلة عرض مقاله حول عنوان "حقوق الطلبة في نصوص دستور الهند"، ثم قدم الأخ طارق أسعد بن أسعد أعظمي من السنة الأولى للفضيلة مقالته المعنونة بـ "مأساة التاريخ والمسلمون الهنود".

وفي الحفلة حدث انعطاف شيق طابت به قلوب الحاضرين عند ما قدم مجموعة من الطلاب مسرحية علمية على المنصة حول عنوان "دور اللسان في الدعوة إلى الله" بينوا للحضور من خلالها أهمية التضلع في الألسنة في مجال الدعوة وخسران من لم يتقنها. ثم ألقى الرئيس للجلسة الشيخ عبد الله سعود كلمته، سلط الضوء فيها على مواقف السلف في المواطن الحرجة ومصابرتهم في طريق البناء والرقي مع مواجهة العراقيل. وقد لبّى على دعوة الطلاب الضيف الكريم الدكتور آفتاب أحمد آفاقي الأستاذ في قسم اللغة الأردية من الجامعة الهندوكية بنارس (B.H.U.) بحضوره في الحفل، ووجه كلمته إلى الحضور، فأشاد أولا بجهود طلبة الجامعة، وأعرب عن سروره الغامر قائلا

إن هؤلاء يستطيعون أن يحكموا الدنيا بمؤهلاتهم الفائقة، وهم أفضل من طلبة الجامعات العصرية الذين لا يرون إلا المادة، بعيدين عن القيم الخلقية والمعاني السامية للحياة، وأظهر ما يكن في صدره من الإجلال والاحترام للعلماء الربانيين، ثم استطرد قائلا إن دور العلماء في جهاد تحرير الهند لا ينسى، فكانوا في مقدم الصفوف كل حين، وقال في أثناء تصوير أوضاع مسلمي الهند: إن عليهم أن يلزموا الإيجابية، وليس لهم أن يلتفتوا إلى سلبيات تمارسها الأعداء ضدهم "فلو عض كلب إنسانا ليس للإنسان أن يرد عليه بالعضوض" وما إلى ذلك من التوجيهات.

وفي الختام قام مدير البرنامج كاتب هذه السطور بتقديم كلمة الشكر إلى الحضور من أعضاء هيئة التدريس والضيف والأمين العام والطلبة.

نسيم أختر عبد المجيد

السنة الثالثة للفضيلة

موقع

الجامعة السلفية

(مركزي دار العلوم)

بنارس-الهند

على الانترنت

http://www.aljamiatussalafiah.org

http://www.jsvaranasi.com

البريد الالكتروني

للجامعة السلفية (مركزي دار العلوم) بنارس

salafiahvaranasi@gmail.com